# النزعة الانتقامية عند ابن طولون في ضوء فلسفة ابن خلدون الاجتماعية والتفسير المتنامي للبنية التاريخية

## إعـــــداد

**د. السيد خلف أبو ديوان**

مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

**دورية الإنسانيات - كلية الآداب - جامعه دمنهور**

**العدد (65)- الجزء الثانى -**2025

# النزعة الانتقامية عند ابن طولون في ضوء فلسفة ابن خلدون الاجتماعية والتفسير المتنامي للبنية التاريخية

**د. السيد خلف (أبو ديوان)**

**ملخص**

**هذا بحث عنوانه (النزعة الانتقامية عند ابن طولون في ضوء فلسفة ابن خلدون الاجتماعية والتفسير المتنامي للبنية التاريخية)**، وإشكاليته: هل يمكن دراسة التاريخ من الخارج فقط، أو من الداخل فقط، أو منهما معا في ضوء فلسفة التاريخ، بمعزل عن رؤية المؤرخين الجدد وإهمال الأثر النفسي للحكام ورعاياهم على السواء؟

ومنهجه: التفسير المتنامي للبنية التاريخية: بالبحث في الخطوط العامة والخيوط الرفيعة للكائنات وتفاعلاتها في إطار الزمان والمكان، وتجليات تلك التفاعلات، وعمرها التأثيري المباشر وغير المباشر في التاريخ، بمقاربات البحث الطولي الكيفي، ودراسة جذور الأعراق، وتتبعها عبر الأجيال.

وفيه ثلاثة مباحث، الأول: مصطلح الانتقام: دوافعه ونتائجه، وبواكير ظهور الأتراك في المجتمع الإسلامي، والبنية التاريخية، والثاني: فلسفة ابن خلدون التاريخية في جانبيها النظري والتطبيقي. أما الثالث: فالنزعة الانتقامية لدى الأمير التركي ابن طولون(ت10 ذو القعدة270هـ/10 مايو 884م).

وقد تجلت أبرز مظاهرها في إذلال كل من أساء إليه، أو ألغى وجوده، أو وشى به لدى حكومة بغداد، أو حاول الحيلولة دون طموح الأمير الشاب نحو الاستقلال بمصر، أو خالف أوامره بالامتناع عن إصدار فتاوى تمكينه، أو زيَّن عصيانه للمتمردين والخارجين والمتآمرين، ببينة، أو بأدنى شبهة.

**Abstract**

This is a research entitled (The Vengeful Tendency of Ibn Tulun in the Light of Ibn Khaldun's Social Philosophy and the Growing Interpretation of the Historical Structure).

Its problem is: Can history be studied from the outside only, or from the inside only, or from both together in the light of the philosophy of history, regardless of the vision of the new historians and of the psychological impact of rulers and their subjects alike?

Its Methodology: Growing interpretation of the historical structure: by dealing with the general lines and the details of objects and their interactions within the time and the space and the manifestations of these interactions and the period of their direct and indirect impact on history, by using qualitative longitudinal research approaches, and by studying the roots of races and tracing them across generations.

It has three sections, the first: The Term 'Revenge': its motives and consequences, the early appearance of the Turks in the Islamic society, as well as the historical structure. The second is: Ibn Khaldun's Historical Philosophy in its theoretical and practical aspects. The third is: The Vengeful Tendency of the Turkish Prince: Ibn Tulun (d.10 Dhu al-Qa'dah 270 AH / 10 May 884 AD). The most prominent manifestation of this Tendency was the humiliation of anyone who offended him, canceled his existence, or denounced him to the Baghdad government, or tried to prevent the young prince's ambition to independence of Egypt, or defied his orders to refrain from issuing fatwas empowering him, or incite rebels, outlaws and conspirators to disobey him, depending on an evidence or on the slightest suspicion.

**مقدمة:**

الفرض الذي تمتحنه هذه الدراسة البنية والمؤرخون بين الثابت والمتغير، بمدخل تنظيري تأصيلي في فلسفة التاريخ، خاصة عند ابن خلدون، وتطبيقه من خلال التفسير المتنامي لبنية النزعة الانتقامية لدى ابن طولون(23رمضان220– 10 ذو القعدة 270هـ/20 سبتمبر 835م– 10 مايو 884م).

وجدير بالذكر أن تطبيق هذا المنهج الجديد**(التفسير المتنامي للبنية التاريخية)** على دولة كاملة أو شخصية بعينها في بحث صغير أمر صعب، وغير متسق مع القِصَر والتكثيف والعرض الموجز لنظرية وليدة، قد تجد من يرعاها ويمد لها جسورًا حقيقية؛ لتحيا وسط مناهج كثيرة، عسى أن تقدم نفعًا في الحراك التاريخي المتواصل، كما أنه من غير المنطقي أن يقتصر البحث على التنظير دون عرض بنية لمناقشة النظرية وتطبيقها على حدث واحد، وتعهد مراحله العُمْرية واستخلاص نتائجه.

لذا؛ كان من الحتمية التاريخية والالتزام العلمي ألا ينسلخ الباحث عن البحث التاريخي خارجا عن عباءته، فرأيت أن يجمع المنهج المقترح بين الحوليات والأسلوب الموضوعي، وقد يبدو ذلك تكرارًا لما سار فيه مؤرخونا العظماء القدامى والمحدثون، لكن من الإنصاف أنه لم ينغلق متكلِّسًا في قوقعة التقليد والوصف، فقد جمع كذلك بين فلسفة التاريخ والتاريخ الجديد، بدراسة الأسباب والنتائج، من علٍ ومن أسفل، ومن الداخل والخارج، ومنح المهمشين مساحة كافية دون الاقتصار على النخب من السلطات والأرستقراطيين، لاطمئنانه أن تغيير المجتمع وقيام الدول وسقوطها، وصلاح المجتمعات وفسادها غير منوط بطبقة دون أخرى، ولا بظاهرة دون غيرها.

وتضم هذه الدراسة ثلاثة مباحث: في **المبحث الأول** وطَّأْتُ **لمصطلحات الدراسة، ومنها: مصطلح الانتقام: دوافعه ونتائجه، وبواكير ظهور الأتراك في المجتمع الإسلامي، والبنية التاريخية**، في حين خصصت **المبحث الثاني لفلسفة ابن خلدون التاريخية في جانبيها النظري والتطبيقي.**

ولبيان صحة المنهج –أو عدم استوائه على سوقه– عرضت **في المبحث الثالث والأخير النزعة الانتقامية لدى الأمير التركي ابن طولون**، صاحب أولى محاولات الاستقلال بمصر عن هيمنة الخلافة العباسية ببغداد، فقد ولد بين العباسيين، ونشأ بين بغداد والشام، واستقل بحكم مصر، بدافع نزعته الانتقامية التي كان **سبب ولادتها مقتل الخليفة المستعين**(6ربيع الآخر 248–4 مُحرَّم 252هـ/8 يُونيو 862–25 يناير 866م)

على يد سعيد الحاجب(ت 277هـ/890م) غدرًا، فتنامت رغبة الانتقام داخله حتى تمكن، وبدأ يجد متنفسه فيها بإيلام العباسيين بقصد أو بغير قصد.

وهنا تثبت حركية تلك البنية التاريخية أن غريزة الانتقام لا تسقط بالتقادم، ويمكن أن يقاس عليها نظائرها التي تنتظم في: **تخلصِه من شقير الخادم عامل البريد(ت 254هـ/868م) مولى قبيحة(ت264هـ/878م)، ومتولي الخراج ابن المدبر(ت270هـ/884م) وموقفِه من ابنه العباس(242- 270هـ/856-884م) بعد خروجه عليه، وإهانتِه للقاضي بكار(182-270هـ/798- 884م) وحبْسِه، وجلد طبيبه الخاص سعيد بن توفيل(ت 270هـ/884م) مائتي سوط بين يديه وتشهيره وسَجْنِه للوزير الحسن بن مخلد(209- 269هـ/824- 882م) حتى الموت.**

**إشكالية الدراسة:**

تكمن إشكالية هذه الدراسة حول سؤال عريض: **هل يمكن الاطمئنان إلى دراسة التاريخ من الخارج فقط، أو من الداخل فقط، أو منهما معا في ضوء فلسفة التاريخ، بمعزل عن رؤية المؤرخين الجدد وإهمال الأثر النفسي للحكام ورعاياهم على السواء؟**

ويتفرع عنها بعض التساؤلات والقضايا سنذكرها في حينها، متعلقة بالقائد المؤسس أحمد بن طولون وأسرته ورجال دولته في مصر والشام والثغور وعلاقته بمؤسسة الخلافة في بغداد وسامراء.

**منهج الدراسة:**

**التفسير المتنامي للبنية التاريخية: المنهج الرئيس الذي ابتكره الباحث في هذه الدراسة، وهو** منهج يبحث في الخطوط العامة والخيوط الرفيعة للكائنات وتفاعلاتها في إطار الزمان والمكان، وتجليات تلك التفاعلات، وعمرها التأثيري المباشر وغير المباشر في التاريخ، بمقاربات البحث الطولي الكيفي، ودراسة جذور الأعراق وتتبعها عبر الأجيال، ولنا أن نتساءل: **هل يسير التاريخ نفسه حسب قانون الجدلية الديالكيتك؟**

واقتضت الإجابة عن هذا السؤال أن نستند إلى مناهج أخرى تدعم منهجنا الرئيس؛ ومن أهم تلك المناهج- أو الإجراءات- التي استند إليها:

**المنهج الاستدلالي أو الاستنباطي:** وفيه يربط العقل بين المقدمات والنتائج، وبين الأشياء وعللها على أساس المنطق والتأمل الذهني، فهو يبدأ بالكليات ليصل منها إلى الجزئيات.

**المنهج الاسترادي:** بمحاولة استعادة أنساق الماضي وبنى أحداثه؛ للتحقق من مجرى الأحداث، والإفادة منها في الحاضر.

**المـنـهج الوصـفي:** بجمـع البنـى التاريخيـة الخاصـة بالدراسـة مـن المصـدر والمراجـع والدراسات الحديثة، فيبدأ بالجزئيات حتى يصل إلى أطر عامة أو كلية.

**المنهج النقدي التحليلي:** بتفكيك الأنساق التاريخية وتحليل مضمون النص التاريخي كَمًّا وكيفًا، واستخلاص دلالتها.

**المـنـهج الفلسـفي:** بإثارة الأسئلة والانطـلاق من الشك الـديكارتي والمحفزات والجـدل الـديالكتيكي؛ للبحـث عـن المبـررات المنطقيـة، ومناقشـة الآراء ونقـدها، بوضـع الفـرض واستخلاص النتائج.

وقد راعيت في التوثيق ما يأتي:

–ذكر اسم المؤلف، ثم كتابه، وإن كان ثمة من حققه أو قدم له أو علق عليه ذكرته، ودار النشر والطبعة والسنة، وذكر الجزء إن كان للكتاب أجزاء، وذكر الصفحة عند إيراده للمرة الأولى، فإن تكرر ذكره اكتفيت باسم المؤلف وكتابه والجزء والصفحة.

–عزو الآيات القرآنية إلى سورها.

–تخريج الأحاديث من كتب الأحاديث والمسانيد.

–الترتيب الزمني للمصادر في الحواشي بحسب الأقدم، وترتيب كتب المؤلف الواحد ألفبائيًّا.

## الرموز والاختصارات:

استعنت ببعض الرموز والاختصارات في هذه الدراسة أشير إليها في النحو الآتي:

| الرمز | الدلالة |
|---|---|
| ت | توفى |
| (د. ت) | دون تاريخ نشر |
| (د. ط) | دون طبعة |
| (د. مك) | دون مكان نشر |
| ص | صفحة |
| م | التاريخ الميلادي |
| هـ | التاريخ الهجري |
| / | للفصل بين التاريخ الهجري والتاريخ الميلادي |
| ... | لبيان حذف بعض الكلمات من المصدر |
| -- | توضع بينهما الجملة الاعتراضية |
| ( ) | قوسان بينهما زيادة أو شرح من الباحث |
| " " | شولتان مزدوجتان يوضع بينهما النص المقتبس |
| { } | قوسان مزخرفان للآيات القرآنية |

## المبحث الأول: مدخل تنظيري وتوطئة لمصطلحات الدراسة

يرى الباحث ضرورة التعريف ببعض مصطلحات العنوان لتقريب التصور الذهني لغريزة الانتقام المتولدة عن الغضب، وبيان سيطرتها على ابن طولون الذي لم يكن حليما حتى مع أقرب أبنائه ورجال دولته، وبواكير إدخال العنصر التركي إلى تاريخ المسلمين وحضارتهم لتهيئة المسرح الجغرافي المرتبط بمسار التاريخ، وتفسير البنية التاريخية المتنامية في النحو الآتي:

### المطلب الأول: مصطلح الانتقام: دوافعه ونتائجه:

يمكن مقاربة الانتقام بأنه قوة حيوانية يعبر عنها بالغضب– إذا ارتسم فِي الخيال ما يُعلم أَو يُظنُّ أَنه يضر– تبْعَث على تَحْرِيك ما يدْفع الضَّرَر أَو الإيذاء؛ طلبا للانتقام والغَلَبة[1]، فقوة الْغَضَبِ محلُّهَا الْقَلْبُ[2]، وغريزة الغضب للتشفي، ولذتها في الغلبة والانتقام[3]، والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به، والناس في هذه

---

[1] مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت421هـ/1030م): تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، (د.ت)، ص 203، الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ/1111م): معارج القدس في مدارج معرفه النفس، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الثانية، 1975م، ص37، ابن الجوزي. اللطائف والطب الروحاني: تحقيق: عبد القادر عطا، مكتبة القاهرة، القاهرة، (د.ت)، ص 109، ابن علّان: محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي (ت 1057هـ/1647م): الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية: سبعة أجزاء، جمعية النشر والتأليف الأزهرية، (د. ت)، 177/6، ليلى عبد الرشيد عطار: آراء ابن الجوزي التربوية «دراسة وتحليلا وتقويما ومقارنة»: منشورات أمانة للنشر، ميريلاند – الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م، ص 155.

[2] الغزالي: إحياء علوم الدين: أربعة أجزاء، دار المعرفة – بيروت، (د.ت)، 167/3، أحمد بن يوسف بن محمد الأهدل: الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية: مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الثالثة، 1431هـ/2010م، ص 88، محمد محروس الشناوي: العملية الإرشادية: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1416هـ/1996م، ص 454.

[3] الغزالي: إحياء علوم الدين: 167/3، 307/4، ابن قدامة المقدسي: نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ت 689هـ/1290م): مختصر منهاج القاصدين: قدم له: محمد أحمد دهمان، مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، 1398هـ/1978م، ص 179، 187، ابن حجر الهيتمي: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري (ت909– 974هـ/1567م): الزواجر عن اقتراف الكبائر: جزآن، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1408هـ/1987م، 94/1، الخادمي: محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمى الحنفي (ت 1156هـ/1763م): بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية: أربعة أجزاء، مطبعة الحلبي، بدون طبعة، 1348هـ/1930م، 276/2.

القوَّة على درجات ثلاث من التفريط والإفراط والاعتدال[4].فمن كرمت نَفسه عِنْده هان دينه عَلَيْهِ، فمن عُيُوب النَّفس الْغَضَب والانتقام لَهَا، وَالْخُصُومَة عَنْهَا[5]. ويقتضي الحقد الانتقام والتشفي[6]؛ لأن محبة الانتقام انفعال نفسي بهيمي[7]، فينشأ عن ذلك كثير من الأفعال المحرمة كالقتل والضرب وأنواع الظلم والعدوان[8]

فالغضب: ثوران دم القلب وغليانه المهيج لإدارة الانتقام [9]؛ ليحصل منه التَشَفِّي للصدر، ومن أبْغَضَ أحدًا وأحبَّ الانتقام منه فهو غَضْبان[10]، فَمَتَى كَانَ الغضب عَلى

---

[4] مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: ص 203، الغزالي: إحياء علوم الدين: 167/3، ابن قدامة المقدسي: مختصر منهاج القاصدين: ص 179، أحمد بن ناصر الطيار: حياة السلف بين القول والعمل: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1433هـ/2012م، ص 341، هامش 1، أحمد بن يوسف بن محمد الأهدل: الأخلاق الزكية في آداب الطالب: ص 88، محمد محروس الشناوي: العملية الإرشادية: ص 454.

[5] أبو عبد الرحمن السلمي: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، (ت 412هـ/1021م): عيوب النفس: تحقيق: مجدي فتحي السيد، مكتبة الصحابة – طنطا(د.ت)، ص21.

[6] ابن قدامة المقدسي: مختصر منهاج القاصدين: ص 187.

[7] مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: ص 111.

[8] أحمد بن ناصر الطيار: حياة السلف بين القول والعمل: ص 341، هامش 1.

[9] أبو هلال العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت 395هـ/1005م تقريبا): معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة: تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م، ص: 392، زكريا الأنصاري: زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى(ت926هـ/1520م): الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة: تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر – بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ/1991م، ص 73، المناوي: زين الدين محمد عبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت1031هـ/1622م): التوقيف على مهمات التعاريف: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1410هـ/1990م، ص 252، ابن علّان: الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية: 177/6، الزَّبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى (1145–1205هـ/1732–1790م): تاج العروس من جواهر القاموس: تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية، الكويت(د.ت)، 485/3، 14/23، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي(ت1395هـ/1974م): التعريفات الفقهية: دار الكتب العلمية، (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان 1407هـ/1986م)، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م، ص 158، أحمد بن يوسف بن محمد الأهدل: الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية: ص 84، محمد أجمل بن محمد أيوب الإصلاحي: كتاب جمل الغرائب للنيسابوري وأهميته في علم غريب الحديث: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (دون طبعة ودون تاريخ)، ص 23.

[10]محمد عميم الإحسان المجددي البركتي: التعريفات الفقهية: ص 158.

مَن دُونَه انبسط وَصار غَضبًا، وَمَتى كَان على مَن فوْقه انقبض فصار حُزْنًا[11]؛ وقد يؤدي إلى الْمَرَض الذي لا شِفَاء لَهُ كزَوَال الْعقل وَالْحُرْمَة، فضلا عن وحُصُول الندامة والخسران[12]،"فإذا كانت هذه الحركة عنيفة أججت نار الغضب وأضرمتها فاحتد غليان دم القلب وامتلأت الشرايين والدماغ دخانا مظلما مضطربا يسوء منه حال العقل ويضعف فعله...فلذلك يعمى الإنسان عن الرشد" [13].

والغضب إرادة الضرر للمغضوب عليه [14]، والعداوة تتمكن في القلب بسبب الرغبة في الإضرار والانتقام[15]، وإذا تحرّك دم الْقلب عَن من فَوْقه، مَعَ ظن أَن لا سَبِيل إِلَى الانتقام منه يتحول الغضب إلى حزن وجزع [16]؛ حيث يتولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب؛ ولذلك يصفر اللون [17]. وقيل: "ينبغي للسلطان أن يؤخر العقوبة

---

[11] الزبيدي: تاج العروس: 14/23.

[12] الأحمد نكري: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق 12هـ/ق18م): دستور العلماء= جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، أربعة أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م، 6/3.

[13] مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: ص 203، وينظر: محمد منير مرسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية: عالم الكتب، طبعة مزيدة ومنقحة، 1425هـ/2005م، ص 331.

[14] العسكري: معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة: ص 392، مادة رقم 1575.

[15] الجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت 816هـ/1413م):
كتاب التعريفات: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م، ص 148، المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف: ص 237، التهانوي: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي(ت بعد 1158هـ/1745م): موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، حققه: علي دحروج، جزآن، راجعه: رفيق العجم، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 1996م، 847/1، الأحمد نكري: دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: 223/2.

[16] الغزالي: إحياء علوم الدين: 167/3، ميزان العمل: حققه وقدم له: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 1964م، ص322، السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ/1505م): معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004م، ص 204، مادة رقم 1683، ابن علّان: الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية: 180/6، محمد محروس الشناوي: العملية الإرشادية: ص 453.

[17] الغزالي: إحياء علوم الدين: 167/3، ابن حجر الهيتمي: الزواجر عن اقتراف الكبائر: 94/1، السيوطي: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: ص 204، مادة رقم 1683، ابن علّان: الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية: 180/6، محمد محروس الشناوي: العملية الإرشادية: ص 453.

حتى ينقضي سلطان غضبه"[18]؛ لأن الغضب غول العقل، وقد يحمل الغاضب على مجاوزة حد الواجب في الانتقام[19].

يقول ابن الجوزي: "إن الغضب إنما ركب في طبع الآدمي ليحثه على دفع الأذى عنه والانتقام من المؤذي له، وإنما المذموم إفراطه، فإنه حينئذ يزيل التماسك، ويخرج عن الاعتدال، فيحمل على تجاوز الصواب، وربما كانت مكانته في الغضبان أكثر من مكانته في المغضوب عليه"[20].

وربما أدى الغضب إلى الحمى، وتصاحبه حركات وانفعالات في وجه الغاضب، فيحمر الوجه والعين والبشرة من حرارة الغضب؛ لأنه حرارة تتولد من أثر الأذى[21]؛ فالغضب جمرة تتقد في القلب، وتدعو إلى السطوة والانتقام والتشفي[22]، لقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: « إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ تُوقَدُ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ، وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ»[23].

---

[18] الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني (ت502هـ/1108م): الذريعة إلى مكارم الشريعة: حققه: أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام – القاهرة، 1428هـ/2007م، ص 242.

[19] الغزالي: ميزان العمل: ص 320.

[20] ابن الجوزي. اللطائف والطب الروحاني: تحقيق: عبد القادر عطا، مكتبة القاهرة، القاهرة، (د.ت)، ص 109، ليلى عبد الرشيد عطار: آراء ابن الجوزي التربوية: ص 155.

[21] ليلى عبد الرشيد عطا: آراء ابن الجوزي التربوية: ص 155–156

[22] محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد: الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة: دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م، ص 31.

[23] معمر بن راشد: معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (ت 153هـ/770م): جامع معمر بن راشد (منشور ملحقا بمصنف عبد الرزاق): تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ/1983م، 347/11، أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت241هـ/855م): مسند الإمام أحمد بن حنبل، حققه: شعيب الأرناؤوط وآخرون، خمسة وأربعون جزءا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ/2001م، 132/18، حديث رقم 11587، الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت 279هـ/892م): سنن الترمذي: تحقيق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض (جـ 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية، 1395هـ/1975م، 483/4، حديث رقم 2191 بلفظ قريب، البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت 458هـ/1066م): شعب الإيمان: حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، 1423هـ/2003م، 529/10، حديث رقم7937.

فالغضب جنون ساعة أو لحظة، فتختنق حرارة القلب داخله، فيسبب أمراضا صعبة تؤدي إلى التلف[24]، والتَّشَفِّي دَرْكُ القلبِ غَرَضَهُ من الانتقام [25]، ومن كلام المنتصر (247- 248هـ/862م) بعد عفوه عن أحد الخارجين عليه: لذة العفو أعذبُ من لذةِ التَّشَفِّي، وأَقبحُ فعال المُقتدر الانتقام[26]. وربما نسبوه-خطأً- إلى أبي جعفر المنصور (137-158هـ/754-775م) في كلام لولده المهدي(158-169هـ/775-786م)[27] ومن أقوال أنوشروان(ت579م): "وجدنا للذة العفو ما لم نجد للذة العقوبة"[28]، وقال الشاعر:

---

[24] مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: ص 204، محمد منير مرسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية: ص 332.

[25] ابن مفلح: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (ت 763هـ/1362م): الآداب الشرعية والمنح المرعية: ثلاثة أجزاء، عالم الكتب(د. ت)،126/3.

[26]أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت نحو 400هـ/1010م):البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، عشرة أجزاء، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م، 153/8، الآبي: منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبي(ت 421هـ/1030م): نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، سبعة أجزاء في أربعة مجلدات، دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004م، 91/3، الحُصري القيرواني: إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (ت 453هـ/1061م): زهر الآداب وثمر الألباب، أربعة أجزاء، دار الجيل، بيروت، (د.ت)،258/1، الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: جزآن، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ/1999م،281/1، ابن حمدون: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت 562هـ/1167م): التذكرة الحمدونية، عشرة أجزاء، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م،121/2، تذكرة رقم 241، ابن سعيد الأندلسي: علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك(ت685هـ/1286م): المقتطف من أزاهر الطرف: شركة أمل، القاهرة، 1425هـ/2004م، 56/1، الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله الذهبي(ت748هـ/1347م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ثلاثة وخمسون جزءا، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى،1407هـ/1987م، 419/18، ابن مفلح: الآداب الشرعية والمنح المرعية: 230/2، الأبشيهي: شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (ت 852هـ/1448م): المستطرف في كل فن مستطرف: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م، ص: 197، العاملي: محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، بهاء الدين (ت 1031هـ/1622م): الكشكول: تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، جزآن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م، 122/2، لويس شيخو: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (ت 1346هـ/1927م): مجاني الأدب في حدائق العرب: ستة أجزاء، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1913م، 52/1، عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سيد بن أحمد البرقوقي: (1363هـ/1944م): الذخائر والعبقريات: جزآن، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 111/2، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي: الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها: مطبعة سفير(دون طبعة ودون تاريخ)، ص 35.

[27] الوطواط: أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (ت 718هـ/1318م): غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة: ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م، ص 503، النويري: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت733هـ/1333م):

لـــذة العفـــو إن نظـــرت بعـــين ال... عـــدل أشـــفى مـــن لـــذة الانتقـــام
هـــذه تكســـب المحامـــد والمـــج... د وهـــذه تجـــئ بالآثـــام[29].

واستنادا إلى مبدأ النقيض وانطواء كل شيء على سلب نفسه[30]، حمل الانتقام في نفسه المقابل والنقيض له؛ فعلى الرغم من أنه كان فيه متنفس ابن طولون وتشفيه فإنه هو نفسه الذي أودى بحياته، بعد يأسه من الانتقام من يازمان الخادم (ت 278هـ/891م)، حين لم يجد سبيلا إلى التشفي. ولم يكن يازمان أعلى من ابن طولون، لكن في تلك الأثناء كانت حظوظه العسكرية والاستراتيجية عائقا حال دون تحقيق الجيش الطولوني انتصارا يرضي نفس الأمير الذي يجد في الانتقام من خصومه والخارجين عن سلطانه متنفسه الحقيقي.

## المطلب الثاني: بواكير ظهور الأتراك في المجتمع الإسلامي:

لم يظهر الترك على مسرح المسلمين بين عشية وضحاها، بل كانت الحروب والأَسر وتجارة الرقيق والهدايا والهجرة والدعوة إلى الإسلام والترغيب في التجنيد من دوافع تحارك الجانبين وتناوشهما منذ فتَحَ المسلمون مدن خراسان سنة 30هـ/651م[31]، في عهد

---

نهاية الأرب في فنون الأدب،33 جزءا، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ/2003م، 59/6.

[28] الثعالبي: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ/1038م): التمثيل والمحاضرة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، 1401هـ/1981م، ص 138، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب: 8/6.

[29] الوطواط: غرر الخصائص الواضحة: ص 503، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب: 59/6، عبد الرحمن البرقوقي: الذخائر والعبقريات:111/2.

[30] ينظر: محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: مكتبة وهبة، الطبعة العاشرة، (د.ت) ص 262، ول ديورانت: (ت 1981م): قصة الحضارة: تقديم: محيي الدّين صَابر، ترجمة: زكي نجيب محمُود وآخرين، 42 جزءا، وملحق عن عصر نابليون، دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1408هـ/1988م، ملحق/1308.

[31] ينظر في فتح خراسان ونيسابور: البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت 279هـ/892م): فتوح البلدان: دار ومكتبة الهلال– بيروت، 1988م، ص 390، اليعقوبي: أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي(ت بعد292هـ/905م): كتاب البلدان، ليدن، 1797م، ص 90، 96، ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله(ت626هـ/1229م): معجم البلدان: خمسة أجزاء، دار الفكر، بيروت(د.ت)، 350/2، 331/5، القزويني: أبو عبد الله زكريا بن محمد القزويني الأنصاري (682هـ/1283م): آثار البلاد وأخبار العباد: دار صادر، بيروت، 1380هـ/1960م، ص331، ابن عَبْد الْحَقّ: عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين (ت 739هـ/1338م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة

الخليفة عثمان بن عفان(23-35هـ/644-656م) – رضي الله عنه- " وأهلها أخلاط من العرب والعجم"[32]، وكان منهم: المستوطنون المتأثرون بالثقافة الإيرانية، وكذلك: البدو الذين آثروا التنقل ومهاجمة القرى والمدن على حدود خراسان ومدنها، وتكلم بعض الذين استقروا بها التركية، فنظر إليهم على أنهم أتراك[33]؛ لأن الإثنوجرافيا Ethnography أو كتابة الثقافة بمعناها الإثنوجرافي العريض الشامل تحوي المعتقدات والعادات والمعارف والأخلاق والقوانين التي يسنها المجتمع[34] الذي يمثل الإنسان أهم أعضائه الحيوية الفاعلة. فتصبح الثقافة جزءًا أصيلًا من بيئة الإنسان[35]، وتهدف إلى توثيق الأحداث والتفاعلات وفهمها وقت حدوثها، ومراقبة التغير في أثناء حدوثه؛ حيث إن مناهجها تناسب التفاعلات البحثية والطقوس في الحاضر[36].

---

والبقاع، ثلاثة أجزاء، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/1993م، 1411/3، الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميري (ت727هـ/1327م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، طبع على مطابع دار السراج، الطبعة الثانية، 1980م، ص 231، النعمان عبد المتعال القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م، ص 130، طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عُبيَّة: موجز عن الفتوحات الإسلامية: دار النشر للجامعات- القاهرة، (د.ت)، ص 6، محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية: دار النفائس، الطبعة الأولى 1424هـ/2003م، ص 407، جميل عبد الله محمد المصري: انتشار الإسلام الفتوحات الإسلامية زمن الراشدين: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الحادية والعشرون، العددان الحادي والثمانون والثاني والثمانون، المحرم- جمادى الآخرة، 1409هـ/1989م، ص 85.

[32]إسحاق بن الحسين المنجم (ت ق 4هـ/العاشر الميلادي): آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان: تحقيق: فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م، ص 72، أما مرو ففتحت سنة 31هـ/651م " وأهلها أشراف من العجم، وبها قوم من العرب من الأزد". ينظر: المصدر نفسه: ص 74.

[33] فاروق عمر: الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية(247-334هـ/861- 946م): دراسة تاريخية لبوادر التسلط العسكري على الخلافة العباسية، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، الطبعة الثانية، 1977م، ص51.

[34] علي محمود إسلام الفار: معجم علم الاجتماع، دار المعارف، الطبعة الثانية، 2001م، ص154، وينظر: Tylor, E. B: Primitive Culture(London, John Murray, 1871), p. 1.

[35] Herskovits, M. J; Man And His Works( New York; Alfred A. Knoff, 1956), p. 17.

[36]جولي ماكليود، ريتشيل طومسون: بحث التغير الاجتماعي(المقاربات الكيفية): ترجمة: سحر توفيق، مراجعة: محمود الكردي، سلسلة ميراث الترجمة، عدد 1992، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2014م، ص208.

فالثقافة تبني هويتها من الشك، وترى نفسها في رحلة مستمرة نحو المعرفة؛ لتحصيل حياة مثالية في الظروف الإنسانية كافة[37] وهذا أمر نسبي؛ حيث " لا يرى كانط(1724–1804م) أن نقد المعرفة يبدأ بالشك المطلق كما هو الحال عند ديكارت(1595–1650م)"[38].

ولا تكاد تذكر الحوليات التاريخية عن المؤسسات والحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لجماهير الشعب غير تلميحات وإشارات ضمنية لا قيمة لها[39]، كأنها لا تقدم تصورا ولا تعكس صورة. ومن هنا يمكن النظر إلى العنصر المستقر الذي تعلم اللغة التركية– أحد مفردات الهوية الثقافية– وتعامل بها على أنه من الأتراك حقيقة– بعد اندماجه في المجتمع– وحكمًا منذ تكلم التركية.

والحق أن الحروب استمرت بين الترك البدو وبين العرب المسلمين، دون أن يظفر المسلمون بانتصار حاسم ونهائي في بلاد ما وراء النهر إلا في أواخر عهد الأمويين[40]، وجدير بالذكر أن موطن الترك الأول الذين ظهروا في العصر العباسي الأول بلاد ما وراء النهر، خلف نهر سيحون[41]، وتعرف القبائل التركية التي كانت تقيم هناك

---

(37) Zygmunt Bauman: Modernity and the Holocaust. Cambridge; Polity Press, 1989. P. 92, F. Malti Douglas: Blindness and Autobiography., Princeton University Press, Princeton. 1988, p. 88.

(38) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة: سلسلة الفلسفة، عدد 61، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2023م، ص 203.

(39) ينظر: جان سوفاجيه، وكلود كاين: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي: ترجمة: عبد الستار الحلوجي، وعبد الوهاب علوب، عدد 31، المركز القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997م، ص60. وقد خان التعبير المؤلفَيْنِ، حين ذكرا أن التلميحات والإشارات الضمنية لا قيمة لها، وفات المترجمَين أن يعلِّقا على النص؛ فكل إشارة وإن كانت صغيرة لها مدلول تستمد منه قيمتها الجزئية في سياق البنية الكلية العامة، وما التاريخ الشمولي إلا مجموعة وحدات تتراص في نسق عام.

(40) فاروق عمر: الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية: ص51.

(41) سيحون: يحيط بأرض كوش (الحبشة)، وهو نهر مشهور كبير بما وراء النهر، يجمد في الشتاء ثلاثة أشهر، حتى تجوز على جمده القوافل، وهو في حدود بلاد الترك. ويزعم أهل الكتاب أن أربعة أنهار تخرج من الجنة: الفرات وسيحون وجيحون ودجلة، وذلك أنهم يزعمون أن الجنة في مشارق الأرض. البكري: أبو عبد الله بن أبى مصعب عبد العزيز بن أبى زيد محمد بن أيوب بن عمرو البكري (ت487هـ/1094م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أربعة أجزاء، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ/1983م، 771/3، ياقوت الحموي: معجم البلدان:21/1، 294/3، ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: 764/2، ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (ت 779هـ/1377م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار: تحقيق: عبد الهادي التازي، خمسة أجزاء، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط،1417هـ/1997م، 208/1، ابن الوردي: سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن

بالهياطلة[42]، غير أن غالبية سكان هذه البلاد تأخر اعتناقهم الإسلام حتى عهد المعتصم الذي استكثر منهم[43].

وربما كان مرد اختلاف المستشرقين والمؤرخين حول بواكير اعتماد الأتراك في بلاط المسلمين إلى نظرتهم إلى الترك بمنظور واحد، دون تمييز بين من خبروا ثقافة الإسلام في البلدان المفتوحة كخراسان وبلاد ما وراء النهر، فتطبعوا بكثير من عادات العرب والمسلمين، وبين المرتزقة الدخلاء المجلوبين إلى جيوش الخلفاء العباسيين[44].

فقد كان ظهور الترك على مسرح الأحداث السياسية في بغداد نقطة تحول في تطور الشرق، وتنحية العرب والفرس معًا عن ساحات الحكم وصناعة القرار[45]، حيث إن أول استخدام للأتراك كان في عهد المنصور (137-158هـ/754-775م)[46]، ثم استخدموا

---

الوردي، البكري القرشي، المعري الحلبي (ت852هـ/1447م): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1428هـ/2008م، ص 252، المنهاجي: شمس الدين محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق، المنهاجي الأسيوطي ثم القاهري الشافعي (ت 880هـ/1475م): إتحاف الأخِصّا بفَضَائل المسجد الأقصى: تحقيق: أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتب، 1984/1982م، 157/1، محمد كبريت: محمد بن عبد الله بن محمد (ت1070هـ/1757م): رحلة الشتاء والصيف: تحقيق: محمَّد سَعيد الطنطاوي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية: 1385هـ/1966م، ص42.

[42] محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري: دار الفكر العربي، (د.ت)، ص 20. والهياطلة: نزلها هيطل بن سام بن نوح وراء النهر فعرفت به، وأرض طخارستان: هي أرض الهياطلة: إقليم واسع بين أرض الجبال وبلاد الأتراك، وبها مدن كثيرة وقرى عامرة وخصب. ابن الفقيه: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت 365هـ/951م): البلدان: تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ/1996م، ص601، ياقوت الحموي: معجم البلدان: 350/2، ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: 1223/3، ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب: ص 125، ويقال: الصغد: هم الهياطلة، وهم بين بخارى وسمرقند. الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار: ص 362.

[43] محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري: ص21، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: أربعة أجزاء، مؤسسة روز اليوسف، سلسلة الكتاب الذهبي، القاهرة، 2003م،159/2-162.

[44] ينظر في تفصيل هذه القضية: فاروق عمر: طبيعة الدعوة العباسية: بيروت، 1970م، ص89، Barthold: Turkestan down ti Mangol Invasion, Barthold (Oxford, 1928), pp 180-203.

[45] ينظر: جان سوفاجيه، وكلود كاين: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي: ص249.

[46] الجهشياري: أبو عبد الله بن عبدوس الجهشياري(331هـ/943م): الوزراء والكتاب: حققه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي، تقديم: عطية القوصي، سلسلة الذخائر، عدد 126، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2004م، ص134، أحمد أمين: ظهر الإسلام: دار الكتاب العربي، جزآن، بيروت، 1969م، 3/1، أحمد عبد العزيز محمود: الأمن في بغداد خلال العصر العباسي الأول(145-247هـ/762-

فـي خلافـة الرشـيد (170–193هـ/787–809م) بصـورة محـددة فـي وظـائف الدولـة والجيش، بعد استقرار الأحوال، وانتشار الإسلام بتركستان موطن الترك الأول[47]، وتوسع المأمون(198– 218هـ/813–833م) قليلًا في هذا الاستخدام للترك، حيث ضم بلاطه عددًا من هؤلاء المماليك المعتوقين[48]، وكان المعتصم(218–227هـ/833–842م) يوجّه إلى سمرقند إلى نوح بن أسد الساماني(ت نحو 245هـ/نحو 860 م) في شراء الأتراك، فاجتمع له في أيام أخيه المأمون منهم زهاء ثلاثة آلاف غلام[49].

وتزايد الاعتماد على الترك في عهد أخيه الخليفة المعتصم الذي كانت أمه تركية؛ فاستكثر منهم، وبنى لهم مدينة سرُ من رأى[50]، فانتقل معه إليها الوجوه والجلة والقواد

---

861م): سلسلة رسائل وبحوث جامعية(14)، مكتب التفسير للنشر والإعلان، أربيل، الطبعة الأولى، 2008م، ص 55، صالح أحمد العلي: إدارة بغداد ومراكزها في العصور العباسية الأولى، مجلة سومر، العدد 33، السنة 1977م، ص122.

[47] يسري زيدان: مصر في ظلال الإسلام حتى نهاية عهد الأيوبيين، دار الهاني للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 1436هـ/2014م، ص 173. وثمة رأي باستخدام العنصر التركي منذ بداية الدولة العباسية. ينظر: جزيل عبد الجبار الجومرد، وخليل إبراهيم السامرائي، وطارق فتحي سلطان: تأريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي (132–656هـ/749–1258م): مديرية دار الكتب، الموصل، العراق، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م، ص 93، ومن مبالغات بعض المستشرقين أن الأتراك في بلاد ما وراء النهر وتركستان ساعدوا العباسيين في القضاء على الأمويين وتأسيس دولتهم الجديدة. فاروق عمر: الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية: ص36.

[48] شفيق جاسر أحمد محمود: المماليك البحرية وقضائهم على الصليبيين في الشام: السنة الحادية والعشرون– العددان الواحد والثمانون والثاني والثمانون– المحرم – جمادى الآخرة 1409هـ/1988م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص 109. واشترك الترك مع الفرس والعرب في مساندة المأمون ضد أخيه الأمين(193–198هـ/809–814م)، وحازوا إعجابه ببأسهم وشجاعتهم. ينظر: محمد حلمي محمد أحمد: الخلافة والدولة في العصر العباسي: القاهرة، 1959م،ص77، محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق: ص21–22، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي: القاهرة، 1966م، ص313، فاروق عمر: نظرة جديدة إلى علاقة الترك بالخلافة العباسية، مجلة المكتبة، العدد 65، بغداد، 1968م، ص27–28،
O.Ismail, The Reign of Al–Mu'tasim. Ph. D. Thesis, pp 16, 23.

[49] اليعقوبي: كتاب البلدان: ص 55، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار: ص 300.

[50] سامَرّاء: لغة في سرّ من رأى: مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة وقد خربت، وفيها لغات: سامرّاء، ممدود، وسامرّا، مقصور، وسرّ من رأ، مهموز الآخر، وسرّ من را، مقصور الآخر. طولها سبعة فراسخ على شرقيّ دجلة وكان شرب أهلها منها وليس بنواحيها ماء يجري إلّا أنهار القاطول التي تنصبّ بالبعد منها إلى سواد بغداد. وسرّ من رأى العاصمة الثانية لبني العباس بناها المعتصم بالعراق، ونزلها بأتراكه. وكانت قبل ذلك صحراء، لا عمارة فيها. وكان بها في القديم دير للنصارى. وفي الكتب المتقدمة أن هذا الموضع يسمى سر من رأى، وأنه كان مدينة سام بن نوح وأنه سيعمر بعد الدهور على يد ملك جليل مظفر منصور له أصحاب كأن وجوههم وجوه طير الفلاة ينزلها وينزلها ولده. فقال المعتصم: أنا والله أبنيها وأنزلها وينزلها ولدي. وقد سكنها ثمانية

وأهل النباهة، من سائر الناس في سنة 223هـ/838م[51]؛ لأنه" لما أفضت إليه الخلافة ألحّ في طلبهم واشترى من كان ببغداد من رقيق الناس"[52]، وأقطعهم الضياع، لكن نشب الصراع التنافس بين أمراء الترك في المدينة الجديدة[53].

ونتيجة لما سبق ازداد خطرهم؛ لاعتماد مؤسسة الخلافة عليهم في ردع أطماع القادة وطموحات الزعماء، فباتوا من مراكز القوى الخطيرة التي تهدد عرش الخليفة وحياته[54]، وإن لم تنازعه السلطة الروحية " والترك مثل العرب سكان فياف وقفار؛ لذا دعوا بأعراب العجم، فلم يهتموا بصناعة أو تجارة أو هندسة أو بنيان أو زراعة، وصرفوا همهم إلى ركوب الخيل ومقارعة الأعداء وطلب الغنائم فاشتهروا بالفروسية والحرب"[55]. وطمح غير واحد منهم في الاستقلال عن الدولة العباسية بأحد الأطراف لأسباب خاصة أو عامة. وكان الأمير أحمد ابن طولون صاحب أشهر تلك المحاولات وأهمها وأعظمها خطرا.

## المطلب الثالث: البنية التاريخية:

---

خلفاء منهم المعتصم وهو ابتدأها وأنشأها، والواثق وهارون، والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتز، والمهتدي. ينظر: اليعقوبي: البلدان ص: 52-54، 57، ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي البغدادي النصيبي (380هـ/990م): صورة الأرض، جزآن، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، 1938م، 243/1، إسحاق بن الحسين المنجم: آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ص 8، 36-37، البكري: المسالك والممالك، جزآن، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1992م، 436/1، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، 734/3، الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي(ت560هـ/1165م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، القاهرة 1431هـ/2010م، 658/2، الهروي: أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي (ت611هـ/1214م): الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق: على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م، ص 65، ياقوت الحموي: معجم البلدان: 173/3، ابن عَبْد الْحَقّ: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: 684/2، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار: ص300.

[51] اليعقوبي: البلدان: ص51.

[52] اليعقوبي: البلدان: ص55، وينظر إسحاق بن الحسين المنجم: آكام المرجان: ص36، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار: ص300.

[53] حورية عبده سلام: الحياة الاجتماعية في العراق زمن البويهيين، دار العالم العربي، الطبعة الأولى، المحرم 1430هـ/يناير 2009م، ص 23، Hitti: P.K: History of the Arabs, London, 1943, p466.

[54] ينظر: فاروق عمر: الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية: ص53.

[55] الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت 255هـ/869م): الرسائل السياسية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د.ت)، ص 48. وينظر: الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: 194/1.

التاريخ " تطور وانحلال في تعاقب وحتمية لا محيص عنهما"[56]، ومراحل نمو البنية أو الحدث التاريخي حين نراه كالكائنات الحية، فنتتبع الظاهرة منذ بدايتها بالبحث عن دوافع ظهورها أو وجودها، بدراسة الملامح العامة للبيئة والزمان والشخصيات والتغيرات التي سادت مسرحها بعد ذلك؛ إذ لا يستطيع الجغرافيون وعلماء الاجتماع والأنساب تفسير الظواهر الحاضرة دون الرجوع إلى جذورها في الماضي[57]، ولا يجوز منطقيًا أن نتحقق من نظرية إلا من خلال القوانين التجريبية المستنبطة منها [58].

ولعل عاطفة الحزن الشديد والإحساس بالقهر والإهانة بعد مقتل الخليفة المستعين أشعلت في قلب ابن طولون براكين الغضب ونيران الخزي، فبات إطفاء ألسنة اللهب عصيا على أحد الموالين للدولة العباسية، إلا إذا شق طريقه مستقلا عن سيادة العباسيين، بانفعال أقوى من تلك العواطف والانفعالات التي أهاجت نفسه الطيبة المحبة للدين والورع والجهاد، ولم يكن هناك أقوى وأسرع من غريزة الانتقام وشهوة الثأر وتعذيب المسيئين لشخصه– ولو بالشبهة– وقد جعلتُ النزعة الانتقامية عنده بنية تاريخية أحاول تفسيرها وبيان آثارها؛ إذ يرى إسبينوزا(1632– 1677م) أن الانفعال لا يقهره إلا انفعال آخر أقوى منه[59].

وعلى الرغم من أهمية البنية في تفسير التاريخ، وفهم حراكه، فإنها في الوقت نفسه قد تجعل المؤرخ أسيرا لها؛ خاصة عندما يبحث علل قيام الدول وانقراض ملكها، وأبرز مثال على هذا التصور تبني ابن خلدون **بنية العصبية** في قيام الدول وسقوطها في تاريخه الشمولي الذي يتناول المجتمع بكل فئاته من جوانب ثقافية متفاوتة[60]، ورؤية كثير من

---

[56] ول ديورانت: قصة الحضارة: 67/40.

[57] ينظر: جان سوفاجيه، وكلود كاين: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي: ص104.

[58]حسن بن محمد حسن الأسمري: النظريات العلمية الحديثة مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها دراسة نقدية، جزآن في ترقيم واحد متسلسل، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1433هـ/2012م، 44/1.

[59] فؤاد زكريا: إسبينوزا: سلسلة الفلسفة، عدد 58، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2022م، ص220.

[60] رشيد الحاج صالح: دور العرب في عقلنة العلوم، التاريخ عند ابن خلدون من منظور علم التاريخ المعاصر، عالم الفكر، العدد 183، يوليو سبتمبر 2021م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب– الكويت، ص 150– 151، جاك لوجوف: التاريخ الجديد: ترجمة محمد الطاهر المنصوري: مراجعة عبد الكريم هنية، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007م، ص81، فرانسوا دوس: التاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد: ترجمة محمد الطاهر المنصوري: المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،

الفلاسفة والمفكرين والمؤرخين لنظرية التعاقب الدوري للحضارات وفقا لمبدأ التحدي والاستجابة[61].

إذ ينبغي للتحليل العلمي للمجتمع أن ينطلق من دراسة خلاياه؛ فالكيان العضوي الاجتماعي يتكون من خلايا، والغالبية الساحقة من الناس تعيش في تجمعات لتأمين وسائل العيش والكسب والنجاح والأمن والسعادة والتواصل مع الآخرين ورفع الكفاءة وتبادل الخبرات؛ لأن تشابك الخلايا هو ما يدخل الجماعة الكبيرة إلى عالم الكل المنظم[62]، وهذه الخلايا– من وجهة نظري– تعد مرادفة على نحو كبير لبنية قديمة مشهورة عرفت عند المهتمين بالعمران وتكوين المجتمعات البشرية، ومنهم ابن خلدون بالعصبية[63].

ولارتباط التاريخ بالفلسفة ورغبة الفلاسفة في الاقتراب من الحقل التاريخي، تاقت نفس المؤرخ الإنجليزي إدوارد جيبون(1737–1794م) وهو ربيب التنوير في إنجلترا إلى أن يكون فيلسوفًا، أو على الأقل أن يفلسف التاريخ؛ لأن العصر المستنير يطالب المؤرخ بمسحة من الفلسفة والنقد[64]، وهذا ما دفعه إلى تطوير النقد التاريخي للمسيحية في كتابه ( سقوط الامبراطورية الرومانية واضمحلالها)[65].

---

2009م، ص255، محمد عابد الجابري: فكر ابن خلدون.. العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994م، ص260.

[61] رشيد الحاج صالح: دور العرب في عقلنة العلوم: 152–153، جاك لوجوف: التاريخ الجديد، ص194، فرناند بروديل: تاريخ وقواعد الحضارات: ترجمة: حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م، ص23، 31.

[62] ألكساندر زينوفيف: ظاهرة الغربوية: ترجمة: عادل إسماعيل، ونوفل نيُّوف، المركز القومي للترجمة، عدد 1630، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2010م، ص 75–77.

[63] العصبية: شعور فئوي بوحدة الجماعة المتميزة يُولِّد تماسكًا وتضامنًا وإحساسًا بالمسئولية. ينظر: عبد العزيز قباني: العصبية بنية المجتمع العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1997م، ص40، محمد عمر بشينة: الاتجاهات الاجتماعية والمذهبية وأثرها في سقوط الدول(الدولة الأموية نموذجًا): الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2014م، ص86.

[64] ول ديورانت: قصة الحضارة: 241/42.

[65] سفر بن عبد الرحمن الحوالي: العِلمانيَّة – نشأتهَا وتطوّرهَا وآثارُهَا في الحيَاة الإسلاميَّة المُعَاصِرَة: دار الهجرة، (د.ت)، ص 162. وينظر: إدوارد جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية: ترجمة: محمد علي أبو درة، بيروت، الطبعة الأولى، (د.ت)، 611/1.

وقد أشار هيجل(1770–1831م) إلى أن إسبينوزا(1632– 1677م) " مضى مع المبدأ الديكارتي(1595– 1650م) حتى آخر نتائجه المنطقية"[66]، وخالفه الفيلسوف الدنماركي هوفدينج(1843–1931م) وقرر أن " إسبينوزا لم يكن ديكارتيا، وإن تعلم كثيرا منه، وانتفع ببعض أفكاره"[67]، فإذا عبرنا بلغة فلسفة التاريخ لفهم تاريخ المسلمين، عثرنا على الرباط الوثيق بين تنفيذ قواعد الشرع وفَهْم الإسلام من واقع مصدريه وبين النصر والظهور للمسلمين وبلوغ حضارتهم إلى الذروة[68].

فربما كان الترف أبرز عوامل ضعف الدولة وسقوطها، فعلى الرغم من أنه ربما زاد من قوة الدولة في أولها، فإنه أشد العوامل أثرا في ضعفها وانهيارها، ويفسر ابن خلدون ذلك بأسباب اقتصادية وأخلاقية ونفسية[69]، ومناط ذلك أن أسباب السقوط والانهيار تختلف بين الدول في فكر العلماء والمفكرين، فلم يكن ابن تيمية(ت 728هـ/1328م) على وعي عميق بأصول التفسير التاريخي، أو ما يسمى بفلسفة التاريخ، غير أنه كان يعالج أسباب هزائم المسلمين وطمع أعدائهم فيهم، ويعللها بسبب التفرق والاختلاف[70].

والملاحظ أن علاقة ابن طولون بالموفق طلحة(229–278هـ/843–891م) مرت بمنعرجات خطيرة من الاحتراز والمواجهة واحتدام الصراع واستمالة الرجال والهدنة واللعن على المنابر ومحاولة كل طرف خلع الآخر استنادا إلى أهل الفقه والفتوى؛ نظرا لقوة الأميرين وتقارب صفاتهما السياسية في فلسفة الحكم والإدارة بمنظور ديني[71]، وفقا لفكرة

---

[66] Hegel; Lectures on the History of Philosophy( English Translation), New York, The Humanities Press, 1955, Vol. 111, p.252.

[67] H. Hoffding; History of Modern Philosophy. New York, Dover Publication, 1955, Vol. 1. p.296.

[68] مصطفى محمد حلمي: منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م، ص 35.

[69] أحمد محمد صبحي: في فلسفة التاريخ: ص 147، عبد الحليم عويس: ابن خلدون وريادته لعلم تفسير التأريخ: 252/15.

[70] مصطفى محمد حلمي: منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين: ص178.

[71] لمزيد من التفصيل ينظر: الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت 310هـ/923م): تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي(ت369هـ/979م)، أحد عشر جزءا، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، 1387هـ/1967م، 627/9، الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري (ت بعد 355هـ/بعد 966م) كتاب الولاة وكتاب القضاة: تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار

العناية الإلهية في تفسير التاريخ؛ لقصور العقل عن التوصل لعلل الأحداث ومآلات المتصارعين[72].

ولعل أكثر ما خدم ابن طولون في لعنه على المنابر إثبات نسبه لأبيه؛ حيث كان النَّاس فيه فرقتان: فرقة تقول: إنَّ أحمدَ ابنُ طولون. وأخرى تقول: هو ابن مَليح(يلبخ) التركي، وأمُّه قاسم جارية طولون، وقد كذبوا؛ فهو ابن طولون، ودليله: أنَّ الموفَّق لمَّا

---

الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م، ص 163-164، 169، البلوي: أبو محمد عبد الله بن محمد المديني البلوي (ت القرن الرابع الهجري/القرن العاشر الميلادي): سيرة ابن طولون: حققها وعلق عليها: محمد كرد علي، سلسلة الذخائر، عدد (55)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1999م، ص81-86، 289-290، 299، 316، سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر يوسف (ت654هـ/1256م): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: مجموعة علماء،23 جزءا، دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى، 1434هـ/2013م، 63/16، ابن العديم: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين(ت660هـ/1262م): بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، اثنا عشر جزءا، دار الفكر، دمشق، (د.ت)، 826/2، ابن خلكان: شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، سبعة أجزاء، دار صادر، بيروت(د.ت)، 281/1، الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: 32/20، اليافعي: عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، عفيف الدين(698-768هـ/1298/1367م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان: دار الكتاب الإسلامي- القاهرة،1412هـ/1993م،138/2، ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت 808هـ/1406م): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: تحقيق: خليل شحادة، ثمانية أجزاء، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1408هـ/1988م، 388/4، 393-394، المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي(766-845هـ/1365-1441م): المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، ثمانية أجزاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1427هـ/2006م، 256/1، 266، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أربعة أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م، 130/2-132، ابن حَجَر العسقلاني: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت852هـ/1448م): رفع الإصر عن قضاة مصر: تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م، ص 106، ابن تغري بردي: أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي(ت874هـ/1470م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008م، 18/3-19، السيوطي: حسن المحاضرة: حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، جزآن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى 1387هـ/1967م، 265/2-378،266، محمد بن عبد الرحمن المغراوي: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، النبلاء للكتاب، مراكش- المغرب، الطبعة الأولى، 304/4، جزيل عبد الجبار، وخليل إبراهيم السامرائي، وطارق فتحي سلطان: تأريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي: ص117-118.

[72] محمد رشاد خليل: المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره، القاهرة، 1984م، ص3.

Boutol: G: Ibn khaldun, La philosophie sociale, Paris, 1930, p.27.، ويرى أحد الباحثين الغربيين أن المظاهر الدينية في الإنسان خصائص مبتدعة غريبة، وإن استمدت من الطبيعة البشرية ذاتها " فالدين متصل بالحياة، وكل منا يعيش بحسب مزاجه الخاص وبمقتضى مواهبه الخاصة". إميل بوترو: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة: ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني: سلسلة الفلسفة، عدد 46، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2021م، ص244، 245.

لعنه نسبه إلى طولون ولم ينسبه إلى مليح، ولما زوجه يارجوخ(ت259هـ/873م) ابنته، وكان مليح مغنيا مِضحاكًا يُسخر منه، وابن طولون معروف بالسّتر والصيانة[73].

وكانت الفرصة سانحة غير مرة لكي ينتقص الموفق من غريمه اللدود(ابن طولون) بالطعن في نسبه والتقليل من شأنه لو كان يعلم بصحة نسبة خصمه إلى مليح المضحاك، فيتحول أمير مصر صاحب السطوة والنفوذ والهيبة إلى مادة للسخرية والتندر ونسج الحكايات والشائعات على ألسنة الخاصة والعامة، غير أن ذلك لم يحدث؛ لمعرفة الخلافة العباسية أن أحمد وُلِد لطولون من إحدى جواريهم على بلاطهم، على الرغم من لعن ابن طولون على المنابر، ومحاولات استنزافه ماديا وعسكريا في مصر والشام.

فالعلاقة بين الأب المُتبنِّي والابن المتبنَّى ليست علاقة أبدية؛ إذ يمكن فضها وعدم الالتزام المعنوي بمسؤولياتها في أي وقت من الطرفين[74]، كما أنها علاقة لا يترتب عليها حقوق ولا واجبات، على عكس علاقة طولون بابنه الشرعي أحمد، وتلك من أدلة إثبات نسبه له.

ولا شك أن الأعمال الاجتماعية تتفاوت وفقا لغاياتها، وأسماها وأشرفها ما اتصل برأس النظام داخل المجتمع؛ من أجل المدينة الفاضلة التي ترعى تكامل الأجزاء وتضامها[75]؛ فالناس على دين ملوكهم، والرئيس بين رعاياه كالقلب من الجسم صلاحًا وفسادًا.

لذلك كانت حياة الإنسان تتحرك بتفاعلات الفرد والمجتمع والحضارة، فالمجتمع مجموعة منظمة من الأفراد، والحضارة مجموعة منظمة من الاستجابات التي تعلمتها

---

[73] البلوي: سيرة أحمد بن طولون: ص34، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان:75/16، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة:3/3.

[74] علي محمود إسلام الفار: معجم علم الاجتماع، دار المعارف، الطبعة الثانية، 2001م، ص8، Evan–Pritchard, E.E; The Nuer(Oxford, At The Clarendon Press, 1940), p. 223; Kadushin,A; Child Welfare Services(The Macmillan Company, New York, Fourth Printing,1968), p.p. 436–465.

[75] إبراهيم مدكور: في الفلسفة الإسلامية– منهج وتطبيقه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2019م، 70/1–71.

الأفراد، وانماز بها المجتمع، وعلى الرغم من استقلالية الفرد في تفكيره وشعوره وعمله فإن اتصاله بمجتمعه وانتماءه لحضارته يحددان استقلاله ويعدلان استجاباته[76].

فالتاريخ علم كلي يضم الجوانب السياسية والاجتماعية، وهو- كذلك- علم جغرافي يبحث في البِنى القابعة خلف الأحداث التاريخية المجردة[77]؛ فالجغرافيا هي رحم التاريخ وأمه التي تغذيه ووطنه الذي يربيه[78]. وهنا يبرز التساؤل الآتي: **هل استطاع الجغرافيون والرحالة أن يسدوا ثغور البحث التاريخي بالنظر الرأسي من الداخل وتتبع الحراك التاريخي الحضاري من أسفل مسلطين الضوء على الهوامش؟**

الحق أن الإغريق كانوا أول الجغرافيين الذين وصلت عنهم معلومات مسجلة، وقد سجل القدماء المصريون بعض المعلومات الجغرافية على الخرائط والنصوص التاريخية على جدران المعابد، وهذا يدل على أنهم قد رسموا خرائط لأرض مصر وما يجاورها[79]. ومن المقرر أن العوامل الجغرافية تتحكم في التاريخ[80]إلى حد بعيد؛ لارتباط أسباب الهجرات بصورة أو بأخرى بالجغرافيا؛ بسبب العلاقة الأزلية بين الزمان والمكان، وكانت الرحلة هي الأب الشرعي للجغرافيا[81]، واهتمت المورفولوجيا الاجتماعية بدراسة البيئة الجغرافية للشعوب وعلاقتها بالتنظيم الاجتماعي[82].

وبعدما اضمحل شأن الجغرافية في العصور المظلمة أحياها العرب والمسلمون بحفظهم للتراث الجغرافي الإغريقي في العصور الوسطى، وانقسمت الجغرافيا عندهم إلى

---

[76] رالف لنتون: شجرة الحضارة- قصة الإنسان منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث: ترجمة: أحمد فخري، تقديم: أحمد زكريا الشلق، ثلاثة أجزاء، سلسلة ميراث الترجمة، العدد(1750)، المركز القومي للترجمة، القاهرة،2010م، ص65.

[77] جاك لوجوف: التاريخ الجديد: ص77، وينظر: رشيد الحاج صالح: دور العرب في عقلنة العلوم: ص 147.

[78] ول ديورانت: دروس التاريخ: ترجمة: علي شلش، دار سعاد الصباح، القاهرة، 1993م، ص40، رشيد الحاج صالح: دور العرب في عقلنة العلوم: ص147.

(79) دولت أحمد صادق، وعلى على البنا: أسس الجغرافيا العامة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط أولى، عام 1996م، ص10.

(80) البلوي: خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي(ت747هـ/1346م): تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق وتقديم. الحسن السائح، مطبعة فضالة، المغرب(د.ت)، ص114، وينظر: السيد خلف (أبو ديوان): صورة مصر الحضارية في كتب الرحالة المسلمين( ق5-8هـ/ق11-14م): رسالة ماجستير، بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2013م، ص 8-9.

(81) قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك: دار الشروق، طبعة أولى، 1415هـ/1994م، ص23.

(82)علي محمود إسلام الفار: معجم علم الاجتماع، ص466، مصطفى الخشاب: علم الاجتماع ومدارسه: مطبعة لجنة البيان العربي: الطبعة الثالثة، سنة 1376هـ/1957م، ص219، إميل دور كايم: قواعد المنهج في علم الاجتماع: ترجمة محمود قاسم، مراجعة السيد محمد بدوي، مكتبة النهضة المصرية، 1950م، ص65.

جغرافيا وصفية، وجغرافيا رياضية، واهتم كثير من الرحالة العرب والمسلمين بالأرض وبالإنسان[83].

فلا يعد من الصحة المنهجية أن يدرس التاريخ بمعزل عن مقدمة جغرافية للأحداث؛ لجدلية العلاقة بين الزمان والمكان[84]، فلا يدرس التاريخ إلا على أساس جغرافي، فالتاريخ دراسة للزمان، والجغرافيا دراسة للمكان، وهما لا ينفصلان[85]. كما أن ربط التاريخ برسم الخرائط الجغرافية يقرب التصور الحضاري لحركية الأحداث وتناميها في محيط المجتمع الذي يتأثر بكل مفردات التضاريس والطرق والأنهار[86].

غير أن العقبة الرئيسة في تفسير التاريخ المتنامي بوصفه حركة تقدم مستمر هي أن الحضارة يمكن أن تموت أو تختفي تماما [87]. وقد رشدت الرؤية الجغرافية مسيرة الرحلة وهى في خدمة الكشف الجغرافي[88]، وأتاحت هذه الصحبة للاجتهاد الجغرافي المعرفة الجغرافية[89]، وحق المعاينة والمشاهدة[90]؛ حيث تعد سعة معارف الجغرافيين وتنوعها مغنما للمؤرخ، الذي يجد في كتاباتهم حصيلة وفيرة من الحقائق التي تتسم عادة بالتفصيل والدقة[91].

فعندما قسم ميشال فوكو Foucault Michel(1926–1984م)البنية إلى أجزاء–سماها(الأنساق)، وطبق نظريته في بعض الكتابات التاريخية غير السائدة كتاريخ الجنس والجنون والولادات والموت والجرائم والعقاب، وأولى المهمَّشين والقوى الصامتة عناية

---

(83) دولت أحمد صادق، وعلى على البنا: أسس الجغرافيا العامة، ص10، 11، وينظر: السيد خلف (أبو ديوان): صورة مصر الحضارية في كتب الرحالة المسلمين: ص 8–9.

(84)جاك لوجوف: التاريخ الجديد: ص77، رشيد الحاج صالح: دور العرب في عقلنة العلوم: ص147.

(85) البلوى: تاج المفرق، ص114.

(86) لوسيان فافر، وهنري جاكمارتان: ظهور الكتاب: ترجمة: محمد سميح السيد، دار طلاس، دمشق، 1988م، ص338–340، فرناند بردويل: تاريخ وقواعد الحضارات: ص65، رشيد الحاج صالح: دور العرب في عقلنة العلوم: ص147.

(87) ول ديورانت: قصة الحضارة: ملحق/1310.

(88) صلاح الدين الشامي: الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، ط ثانية، منشأة المعارف، الإسكندرية، عام 1999م، ص17.

(89) Cary, M and Warming ton, E. H. The Ancient Explorers (Pelican Book) London 1929. P. 76.

(90) صلاح الدين الشامي: الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، ص56.

(91) ينظر: جان سوفاجيه، وكلود كاين: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي: ص71.

كبيرة[92]؛ حيث ذكر أن مذهبه تاريخ الحاضر في ضوء فلسفة هيجل(1770-1831م)، وماركس(1818-1883م)، ونيتشه(1844-1900م)، وهو يريد استكشاف كيفية الوقوع في مصيدة التاريخ، وكيفية الخروج من الممارسات اليومية، باختراع أشكال جديدة من الأفكار والأفعال[93]؛ بحثا عن الحرية والخروج عن النمط أو الإطار.

**وإذا لم تنجح كتابات الرحالة والجغرافيين في استيعاب تأثير الهوامش أو المهمشين الحضاري في مجريات التاريخ فكيف يمكن استيفاء تلك العناصر المهمة لاكتمال الرؤية الواضحة في الحكم على شخصية أو عهد أو ظاهرة أو سلوك؟**

إن مرد مجموع الظواهر النفسية إلى: العواطف الخالصة، والاعتقادات، والطقوس[94].

وثمة اهتمامات حديثة بهذا الدور الفاعل- وإن كان من المسكوت عنه في كتابات مؤرخينا- من ذلك: ظهور مصطلح المايكروسطوريا(المايكرو تاريخية)، ويطلق على التاريخ المصغر أو المجهري، ويعنى بموضوعات سوسيولوجية وأنثروبولوجية وثقافية تدرس تجارب الناس، وترصد تفصيلات حياتهم وبيئاتهم وطقوسهم في المتناقضات كالحزن والسعادة والرضا والغضب والموت والولادة، بتوظيف المنهج النقدي في تفكيك الأنساق التاريخية وتحليلها[95].

ولا تخفى قيمة هذا المصطلح وأهمية موضوعه؛ فدراسة الحالة المصغرة(المهمشة) بغرض تكبيرها للعالم بعد سيطرة المؤرخ أو الفيلسوف على جزئياتها وتحليلها ميكروسكوبيا يجعل النتائج أكثر دقة من جهة، وأقرب للمنهج العلمي السليم دون الولوج إلى متاهات

---

[92] عبد الرازق الداوي: موت الإنسان: هايدجر، ليفي شتراوس، ميشال فوكو: دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1992م، ص129، سيار الجميل: تحقيب الأزمنة وحوليات التاريخ ومفاهيم التاريخ الجديد: مجلة عالم الفكر، العدد 178(أبريل- يونيو 2019م)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، ص284-285، Francois Dosse; History of Structuralism(Minneapolis; University of Minnesota Press, 1977), pp. 80-82; Adrienne Chambon; Reading Foucault for Social Work, NewYork, Columbia University Press, 1999, pp. 143-147.

[93] ينظر: مراد وهبة: المعجم الفلسفي: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2016م، ص536.

[94] إميل بوترو: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة: ص145.

[95] ينظر: الهادي التيمومي: نظريات المعرفة التاريخية وفلسفات التاريخ في العالم الغربي في النصف الثاني من القرن العشرين، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، 2008م، ص36-37، سيار الجميل: تحقيب الأزمنة وحوليات التاريخ ومفاهيم التاريخ الجديد: ص286.

الظواهر الأفقية من جهة أخرى[96]، بإزاحة الستار عن وظائف وعلاقات ودوافع لم تر من قبل؛ لفك الرموز والإشارات، وإعادة ترتيب البنى التاريخية أو الأنساق في التعرف على المجتمعات من الداخل[97]، لكن مع مراعاة عدم إهمال المتن، وقد عبر الشاعر[98] عن ذلك المعنى (من الوافر)، فقال:

أبـــي مـــا الحـــرف؟ لـــو قطعـــوا ذراعـــهْ! لمـــاذا تـــرفض الـــدنيا اتباعـــهْ؟
يُـــــقَدَّمُ هامـــــــــــشٌ لـــم يَـــرْعَ متْـــــــــــنًا ليشـــتعلَ المـــزاد بـــلا بضـــاعةْ؟!

وعلى حد تعبير مرجليوث: " الشعر هو المنهج القَبَلي لتدوين التاريخ"[99]، فالتاريخ التقليدي ينظر إلى الأشياء من علٍ، فتكون أولوياته النخب الحاكمة والأنظمة المتسلطة والحروب، أما التاريخ الجديد فهو النظر من أسفل إلى المثقفين والحياة اليومية والجزئيات المهمشة والأحداث الصغيرة، ويرى فيها التاريخ الحقيقي[100]. فكأن التاريخ السائد منذ قرون– باستثناء كتب الرحالة والسير واليوميات– ينظر من أعلى نظرة أفقية من الخارج، مع حاجتنا إلى تاريخ جديد ينظر من أسفل نظرة رأسية من الداخل، وما أحوجنا إلى الجمع بين النظرتين!

ومن تلك التصورات والمناهج والمدارس التاريخية التي تهتم بجانب على حساب آخر، وترعى طبقة دون أخرى، موغلة في عرض التاريخ من أعلى، دون عناء التفتيش عن المهمشين وملامح حياتهم وسلوكهم من أسفل، اكتفاء بقشرة التاريخ الخارجي، وعدم

---

[96] بول ريكور: الذاكرة– التاريخ– النسيان: ترجمه وقدمه وعلق عليه: جورج زيناني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م، ص328، Francois Dosse; Le Pari biographique. Ecrire une vie, Press. La decouverta. 2005, p. 279.

[97] فريد بن سليمان: مدخل إلى دراسة التاريخ: مركز النشر الجامعي، تونس، 2000م، ص147، كليفورد جيرتز: تأويل الثقافات، مقالات مختارة: ترجمة: محمد بدوي: مراجعة: بولس وهبة، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2009م، ص79، وما بعدها.

[98] قصيدة الحلقة النهائية في برنامج أمير الشعراء، الموسم التاسع، عنوانها(حلم يرسم الرمل موسيقا) ألقاها الشاعر على مسرح شاطئ الراحة، في أبو ظبي، بتاريخ 6 أبريل، 2021م. السيد خلف (أبو ديوان): وحدك والصحراء رئة، دار المشرق العربي، الطبعة الأولى، 2024م، ص69.

[99] مرجليوث: دراسات عن المؤرخين العرب: ترجمة: حسين نصار، سلسلة ميراث الترجمة، عدد 1656، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010م، ص69.

[100] خالد طحطح، وخالد اليعقوبي: التاريخ من أسفل، في تاريخ الهامش والمهمش: منشورات الزمن،(د. ت): ص45، E. P. Thompson; History from Below: Times Literary Supplement, 7 Abril, 1966, pp.279-280.

التنقيب عن لبابه الداخلي رأيت –في دراستي هذه– أن أضيف إلى مناهج البحث التاريخي **(التفسير المتنامي للبنية التاريخية)**؛ للتوفيق والجمع بين فلسفة التاريخ والتاريخ الجديد، فمن الصعب التحقق من أغلب النظريات العلمية المعاصرة، وبعضها لا يمكن التحقق منه أصلًا؛ لأن الحقيقة العلمية ذات وضع نسبي، وهذا يدفع إلى السؤال عن موقع الحقيقة العلمية من هذه المنظومة المعقدة، لاسيّما عند البحث عن المشكلات التي تقع بين العلم والدين[101]، والتاريخ في القلب منهما.

وعلى الرغم من أن النظم الاجتماعية أنساق ذات بنًى منظمة أو خلايا ثابتة نسبيًّا من سلوك واتجاهات وأهداف ورموز ومثاليات تحدد مسار جوانب الحياة الاجتماعية[102]، فإنها كذلك طرق يؤسسها المجتمع ويرعى تنظيمها ليشبع حاجات الإنسان الضرورية[103].

وعندما نفصل البنية التاريخية، عن الملابسات التي تتضمنها بوصفها حلقة من سلسلتها في اطراد معين، فإننا سوف نعدها (غلطة مؤسفة) على الأكثر، وهذا كل ما نأخذه من واقعة عندما نعزلها عن قريباتها دون أن تفقد الواقعة تأثيرها النفسي في سير الصراع الفكري؛ إذ إن جهلنا بميزات شيء ما، لا يعني أنه يفقدها؛ فالجاذبية كانت جاذبية قبل نيوتن(1642 – 1727م) [104]، فما من أحد من الكتاب العرب يصف واقعا ما دون نظرة قَبْلية، وربما لم يظهر– إلى الآن– مفكر عربي سليم كليا من الأفكار الخارجية[105].

---

[101] حسن بن محمد حسن الأسمري: النظريات العلمية الحديثة مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها دراسة نقدية: 45/1، عادل عوض: فلسفة العلم في فيزياء أينشتين بحث في منطق التفكير العلمي، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2005م، ص185.

(102) J.L. Gillin and J.P. Gillin: Cultural Sociology, New York. 1978, p. 313.

(103) W. Orburn and M. Nimkoff. A Handbook of Sociology, London, 1949, pp. 363–64.

[104] مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (ت 1393هـ/1973م): الصراع الفكري في البلاد المستعمرة: دار الفكر– الجزائر، دار الفكر– دمشق، الطبعة الثالثة، 1408هـ/1988م، الطبعة الأولى، القاهرة، 1960م، ص55.

[105] مصطفى باحُو السلاوي المغربي: العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1433هـ/2012م، ص341، تركي علي الربيعو: أزمة الخطاب التقدمي العربي في منعطف الألف الثالث الخطاب الماركسي نموذجا: دار المنتخب العربي، الطبعة الأولى، 1415هـ/1995م، ص9–10.

## المبحث الثاني: تجليات فلسفة ابن خلدون في تاريخه

ليس من المنطق الصعود برتبة أحد المفكرين أو المؤرخين أو الفلاسفة– وفي القلب منهم ابن خلدون– إلى مصاف العبقرية الفريدة– على الرغم من كثرة الدراسات العربية والغربية حول قيمته وسبقه في فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع، كما أنه لا يستقيم أن ننزل بهم، خاصة من ارتبطت مقدمته بتأسيس علم الاجتماع إلى الحضيض، وإن خانه التوفيق بين النظرية والتطبيق عندما كتب تاريخه، فغابت فيه الأسباب والنتائج لضعف اهتمامه بتحري العلل وفحص الروايات ونقدها وتحليل بنيتها، وفقا لعاملي المكان والزمان على بلاط النخبة والمهمشين معا، ومن ذلك القصور عن تقديم عرض نقدي أو رؤية مغايرة للدولة الطولونية عامة، والنزعة الانتقامية عند ابن طولون خاصة، مكتفيا بالنقل عن السابقين، دون العزو إليهم في معظم النقول؛ لذا رأى الباحث أن يعرض تلك التجليات في مطلبين كما يأتي:

### المطلب الأول: الجانب التنظيري في فلسفة ابن خلدون:

أحسَّ ابن خلدون، وله بعض الحق، أنه ابتكر علم الاجتماع؛ إذ لا نستطيع، في أي أدب كان قبل القرن الثامن عشر الميلادي، العثور على فلسفة للتاريخ، أو على منهج لعلم الاجتماع، يمكن أن يباري في قوته ومداه ودقة تحليله منهجه[106].

فحق ابن خلدون بلقب (مؤسس علم الاجتماع) أقوى من حق أوجست كونت( 1798– 1857م)، لأنه فعل ذلك قبله بمدة تزيد على 460 سنة[107]، وهو " العلم الذي يتخذ له موضوعًا ملاحظة الظواهر العقلية والأخلاقية التي بها تتكون الجماعات الإنسانية وتترقى"[108]، ويهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية من خلال طرح الفروض وتحقيقها

---

[106] ول ديورانت: قصة الحضارة: 85/26.

[107] أحمد محمد شاكر: جمهرة مقالات العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر – مع أهم تعقبات الشيخ على دائرة المعارف الإسلامية: جمعها وأعدها واعتنى بها: عبد الرحمن بن عبد العزيز بن حماد العقل، جزآن (في ترقيم واحد متسلسل)، دار الرياض، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م، 320/1.

[108] يوسف بطرس كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة: ص 305.

بواسطة الأساليب التاريخية والتجريبية والإحصائية، فضلا عن دراسة الحالة والمقارنة[109].

ولا يمكن- في تصوري- بيان قيمة فلسفة ابن خلدون التاريخية وتجلياتها -أو خفوتها- في تاريخه دون الإشارة إلى بعض المذاهب الفلسفية والمناهج والمدارس والتيارات التي اهتمت بدراسة التاريخ وتفسيره للوقوف على حركية الوصف التاريخي للبنى السياسية والحضارية في محاولات عدة من الفلاسفة والمفكرين؛ لتحليل تلك الأنساق، بعد تتبع الظاهرة، وضم الخلايا بغية الوصول إلى نتائج صحيحة تارة، أو على أقل تقدير غير متصادمة مع الواقع تارة أخرى، وإن اقتضى البحث التاريخي أحيانا مناقشتها ونقدها وتعديلها وتغييرها والإضافة عليها، وكذلك استبدال مناهج أخرى ومدارس جديدة بها.

فمن جدلية هيجل(1770-1831م), ومادية فيورباخ(1804-1872م) أقام كارل ماركس(1818-1883م) فلسفته على المادية الجدلية، وفسر التاريخ تفسيرًا ماديًّا؛ حيث عزا كل شيء في الاقتصاد إلى أدوات الإنتاج[110]، ولم تكن تلك النظرة جديدة عما نادى به ابن خلدون؛ عندما رد الصدارة في ترتيب المجتمعات إلى العوامل الاقتصادية، بحسب طرز الإنتاج التي تنقطع إليها، واضعا في المرتبة الأولى حياة الحضر مع مختلف الصنائع، ثم الفلاحين سكّان المدر والقرى والجبال وهم عامّة البربر والأعاجم، وأخيرا البدو[111].

وقد صاحب انتشار البحث العلمي في أوربا وكثرة المناهج الفلسفية الداعية إلى المنهج العقلي التجريبي اهتزاز مكانة الكنيسة في النفوس، فبدأت مصداقيتها تتلاشى، وتتابعت أبحاث ديكارت(1595- 1650م) وإسبينوزا(1632- 1677م) وجون لوك(1632-1704م) وغيرهم. وهاجمت الكنيسة نظرية نيوتن(1642- 1727م) في

---

[109] نبيل السمالوطي: بناء المجتمع الإسلامي: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الثالثة، 1418هـ/1998م، ص 7.

[110] محمد جريشة، ومحمد شريف الزيبق: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي: دار الوفاء، الطبعة الثالثة، 1399هـ/1979م، ص 6.

[111] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: 151/1، جاستون بوتول: ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية: ترجمة: عادل زعيتر، مكتبة ابن سينا، القاهرة، الطبعة الأولى، 2016م، ص51-52.

الجاذبية التي فسرت الظواهر الطبيعية بربط بعضها ببعض دون حاجة إلى تدخل خارجي؛ لأنها رأت أن عناية الله هي التي تسير الأشياء[112].

ولا شك أن الفكر والتاريخ متلازمان، مناطهما العقل والفكرة؛ إذ يرى هيجل(1770–1831م) منهجًا ( method) يحكم مسيرة الأحداث ونتائجها؛ معتقدا أن فعل العقل في التاريخ – كما هو في الفكر – فعل ديالكتيكي: كل مرحلة أو حالة هي فكرة (thesis) تحوي نقيضها ( antithesis) وتتصارعان معًا (الفكرة والنقيض) لتظهر منهما الجمعية ( Synthesis)[113].

وربما كان تطور الجغرافيا الطبيعية أبطأ من تطور المجتمعات البشرية، غير أن الخصائص الجغرافية تتفاوت في أهميتها وفقا لتأثيرها في المجتمع، ودورها في تغيير النشاط الإنساني، تبعا لأحوال المناخ والتربة وطرق التجارة ووسائل النقل وحجم الثروة المعدنية وكيفية استخراجها واستغلالها[114].

ويعد ابن خلدون في حديثه عن تأثير النظام الغذائي والإقليم في جسوم الأفراد وأخلاق المجتمعات مبشرا بالأفكار العصرية الحاضرة، لا سيما إيضاحات مونتسكيو(1689–1755م)[115]، الذي لم يدرس في إيضاحه وشرحه لمجرى التاريخ إلا الأسباب الأرضية، ورأى أن يفتش عن قوانين التاريخ، مثلما كان نيوتن(1642–1727م) يبحث عنها في الفضاء[116].

وقد أرجع الطبيب المادي كابانيس( 1757–1808م) جميع الظواهر النفسية إلى العوامل المادية، عوامل البيئة والغذاء ومزاج الجسم، وجمع شواهد كثيرة لتأييد رأيه[117]، وهو بهذا الرأي يستند إلى قول ابن خلدون: " اختلاف الأجيال في أحوالهم إنّما هو

---

[112] مصطفى باحُّو السلاوي المغربي: العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب: جريدة السبيل، المغرب، الطبعة الأولى، 1432هـ/2011م، ص 68.

[113] ول ديورانت: قصة الحضارة: ملحق/1308.

[114] ينظر: جان سوفاجيه، وكلود كاين: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي: ص103.

[115] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: 151/1، جاستون بوتول: ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية: ص51–52.

[116] حسن بن محمد حسن الأسمري: النظريات العلمية الحديثة مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها دراسة نقدية: 232/1، مصطفى باحُّو السلاوي المغربي: العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام: ص341، تركي علي الربيعو: أزمة الخطاب التقدمي العربي في منعطف الألف الثالث: الخطاب الماركسي نموذجا: ص9–10، ول ديورانت: قصة الحضارة: 155/36.

[117] يوسف بطرس كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة: ص 182.

باختلاف نحلتهم من المعاش؛ فإنّ اجتماعهم إنّما هو للتّعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروريّ منه ونشيط قبل الحاجيّ والكماليّ "[118].

ولعل مبدأ النقيض عند هيجل(1770-1831م) قانون عام للوجود، آثر تطبيقه في دائرة الفكرة، فكل كائن من كائنات هذه الطبيعة يحمل في نفسه المقابل والنقيض له، وبمعنى آخر: يتضمن كل كائن بذور عدمه، والعالم كله ناشئ عن التعارض والتناقض، وكل شيء فيه متغير؛ فكل شيء ينطوي على سلب نفسه[119]، فالفكرة الوحيدة التي أدخلتها الفلسفة لدراسة التاريخ وتأمله هي فكرة العقل (التعليل): أي منطق الأحداث وقوانينها، وهذه الفكرة هي مَلِك العالم Sovereign of the World، فيتحدث هيجل عن العقل الحاكم Sovereign Reason بمصطلحات دينية، لكنه يعرّفه بالمزاوجة بين إسبينوزا(1632- 1677م) ونيوتن(1642- 1727م) [120]، وقد مال فيشته(1762-1814م) إلى سيادة العقل سيادة مطلقة على كل شيء آخر سواه, حتى على (الدين والوحي)، بينما مال(هيجل) إلى سيادته على الطبيعة وحدها فحسب[121].

ويلاحظ على اتفاق الفلاسفة والمفكرين واختلافهم في استخدام مبدأ النقيض والاحتفاء به غياب تأثير المهمشين أو التاريخ من أسفل في صنع الأحداث والمشاركة في توجيه قرارات الساسة والعظماء، وهذا الغياب يظهر الفقر الشديد في المادية الغربية ورؤيتها في تفسير التاريخ، وتتبع مراحل نمو الحدث التاريخي، وتناقض مناداتها بالمذهب الوضعي(العلمي) الذي يفتقد إلى الحد الأدنى من الحياد وعدالة قص الأحداث المرتبطة بالرعية أو الطبقات الكادحة التي ربما كان دورها في بعض الأوقات أكثر خطورة من الطبقات العليا التي تمثل التاريخ من الخارج. وهذا السبب- وحده- حري برفض التفسير المادي للتاريخ، أو- على أقل التقديرات- خطورة الاستناد إليه والتعويل عليه- وحده- دون مراعاة مناهج أخرى تهتم- وبدرجات متقاربة- بالظواهر الحضارية والحرف والهوامش ومَن دون النخب.

---

[118] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: 149/1.

[119] محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: ص 262، ولا شك أن سلب الشيء نفسَه قريب مما نادى به ابن خلدون في أثناء حديثه عن أطوار الدولة واختلاف أحوالها وخلق أهلها باختلاف الأطوار، خاصة بعد انهيار الحضارة حين تصل إلى ذروة مجدها. ينظر: تاريخ ابن خلدون: 219/1-221.

[120] ول ديورانت: قصة الحضارة: ملحق/1308.

[121] محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: ص 265.

والحق أن منهج ابن خلدون في المقدمة كان يعالج أولًا فلسفة التاريخ، ثم يتناول أشغال الناس ومهمتهم وبراعاتهم، وأخيرا يعرض لتاريخ العلوم والفنون، وهو يدون التاريخ السياسي لمختلف الأمم، مضحيا بوحدة الزمان في سبيل وحدة الحضارة[122]. غير أن هذه التضحية تعني نظرته الفوقية؛ بتجاهل بعض الطوائف، وغض الطرف عن بعض الأحداث، والابتعاد عن المهمشين، وعدم العناية بالتاريخ من أسفل.

ومن المؤسف أن نظريات ابن خلدون في فلسفة التاريخ التي نادى بها في مقدمته العظيمة ودعا إلى إعمالها لا تظهر تجلياتها في تاريخه، ومع هذا عدَّه كثير من المؤرخين والمفكرين والفلاسفة شرقًا وغربًا الأبَ الروحيَّ لفلسفة التاريخ.

لكن على الجانب الآخر اتهمه[123] فريق آخر بالسطو على جهود سابقيه كإخوان الصفا(القرن الثالث الهجري/العاشر الميلادي)، والبيروني(ت 440هـ/1048م)، والمسعودي(ت346 هـ/957م)، وابن حزم(ت456هـ/1063م) وابن الأثير (ت 630 هـ/1233م)، ونسبة أفكارهم وآرائهم إلى نفسه بالباطل، وقد أشارت إحدى الباحثات[124] إلى سرقة ابن خلدون أفكار القاضي ابن حيون المغربي(ت 395هـ/1004م)مكتشف (المنطق الجدلي/الديالكتيك)، و(التطور البيولوجي للتاريخ)، من خلال دراسة التغير في سمات الكائنات أو الظواهر المدروسة عبر الأجيال.

ومن الملاحظ في دراستنا هذه أن ابن خلدون يغلب عليه عدم الإشارة– إلا فيما ندر– إلى مصادره في تاريخه، رغم اعتماده في تغطية تاريخ الطولونيين على الطبري(ت 310هـ/923م)، والكندي(ت بعد 355هـ/بعد 966م)، والبلوي(ت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)، وابن الأثير(ت 630هـ/1233م)، وسبط ابن الجوزي (ت654هـ/1256م).

كما تشكك بعض الدارسين في عقلانية ابن خلدون وتفسيره غير العلمي للتاريخ، وعزوِه ظواهره الكبرى إلى مزيج من العصبية والدين تارة، وإلى مقاصد إلهية تارة أخرى،

---

[122] ول ديورانت: قصة الحضارة: 80/26.

[123] ينظر: محمود إسماعيل: الأسطغرافيا والميثولوجيا: القاهرة، 2009م، ص130، وما بعدها، محمود إسماعيل، سلمى محمود إسماعيل: فلسفة التاريخ بين فلاسفة الغرب ومؤرخي الإسلام: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2019م، ص149–150.

[124] سلمى محمود إسماعيل: ابن حيون المغربي مؤرخا، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة المنصورة، 2014م، ص204.

مع اعتقاد نسبي في المعجزات والخوارق والكرامات الصوفية والسحر[125] في بعض الأحايين.

ولا شك أن ديكارت وبيكون(1561- 1626م) يمثلان أكبر تيارات أوربا الفلسفية لدراسة علاقة الفكر بالعلم[126]، بعدما حاولا انتقاد منطق أرسطو ومنهجه، ليضعا منهجا جديدا، بتصحيح عمل العقل ورسم صورة جديدة عنه، فسمي القرن السابع عشر الميلادي بعصر الاهتمام بالمنهج؛ بسبب اهتمام الفلاسفة والمؤرخين والمفكرين بالطريقة التي ينبغي أن يتبعها الإنسان حتى يصل إلى الحقيقة[127].

ويرى مكيافيللي (ت 1469-1527م) أن ميل الإنسان للشر يفوق ميله إلى الخير، وهنا تكمن أهمية هذا المؤرخ الفلورنسي؛ حيث جعل لفلسفة التاريخ ولعلم الاجتماع السياسي وجودًا مستقلًّا[128].

ويعد مسكويه(ت421هـ/1030م) المؤرّخ الوحيد الذي نهج منهج الاستدلال الفلسفي مع ما كان له من نظرة أخلاقية عمليّة برجماتية (Pragmatic) إلى حوادث التاريخ، فلا تجد بين المؤرّخين المسلمين مؤرّخا عمد إلى التاريخ عن وعى وجِدٍّ، نشدانا للفوائد التي تنطوي عليها أحداثه، بالمستوى الذي عمد إليه مسكويه؛ فهو حكيم أخلاقي، ويعد كتابه (تجارب الأمم) رائدا في مؤلفات الكتابة العلميّة للتاريخ، فمسكويه أوّل من شقّ الطريق إلى فلسفة التاريخ، ليكون أسوة حسنة لمن جاء بعده[129]؛ فقد كان يحصل على المعلومات من مصادرها الأصلية وكان عارفا بمناهج الإدارة والحروب في عصره، فلا

---

[125] ينظر: محمود إسماعيل: في تأويل التاريخ والتراث، القاهرة، 2006م، ص92 وما بعدها، زينب الخضيري: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، القاهرة، 1991م، ص108، Boutol. G: Ibn Khaldon, Sa Philosophie Sociale, Paris, 1930, p.27, Mahdi. M: Ibn Khaldon's Philosophy of History, London, 1957, p.113.

[126] حسن بن محمد حسن الأسمري: النظريات العلمية الحديثة مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها دراسة نقدية 154/1.

[127] إمام عبد الفتاح: توماس هوبز - فيلسوف العقلانية: الثقافة، القاهرة، طبعة 1985م، ص95.

[128] سفر بن عبد الرحمن الحوالي: العِلمانيَّة - نشأتها وتطوّرهَا وآثارُهَا في الحيَاة الإسلاميَّة المُعَاصِرَة: ص368، جاستون بوتول: تاريخ علم الاجتماع: ترجمة: محمد عاطف غيث، مصر، 1964م، ص24-25.

[129] مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، حققه: أبو القاسم إمامي، سبعة أجزاء، سروش، طهران، الطبعة الثانية، 2000م، 29/1.

يتحفظ في أحكامه متخلصا من معظم صور التحيز[130]. وهو بهذه الشهادة- وبغيرها مع سبقه الزمني- جدير بالدراسة؛ لأسباب لا يتسع مقام دراستنا لسردها.

## المطلب الثاني: فلسفة ابن خلدون التاريخية بين القصور والتجليات:

يقول المؤرخ العالمي روبرت فلنت(1838-1910م) الذي كان أستاذًا في جامعة أدنبرة، عن ابن خلدون في كتابه الضخم (تأريخ فلسفة التأريخ): " إنه لا العالم الكلاسيكي ولا المسيحي الوسيط قد أنجب مثيلا له في فلسفة التاريخ، هناك من يتفوقون عليه كمؤرخ، حتى بين المؤلفين العرب، أما كباحث نظري في التأريخ فليس له مثيل في أي عصر أو قطر... إنه يثير الإعجاب بأصالته وفطنته، بعمقه وشموله، لقد كان فريدا ووحيدا بين معاصريه في فلسفة التأريخ... لقد جمع مؤرخو العرب المادة التاريخية، ولكنه وحده الذي استخدمها "[131].

وأرى أن كلام فلنت عن ابن خلدون نصفه حق، ونصفه الآخر ينطوي على مبالغة شديدة وخلط في التفريق بين مقدمة ابن خلدون وتاريخه، حتى وقع حكمه في تناقض؛ فكيف يتفوق عليه بعض المؤرخين العرب حين كان وحده- على حد تعبير فلنت- الذي استخدم المادة التاريخية؟

أما حين يتعلق الحكم على ابن خلدون من منظور فلسفة التاريخ فلا سبيل إلا الإقرار بتفرده وسبقه؛ لذا لا شك أنه لم يكن فحسب أعظم مؤرخي العصور الوسطى شامخا كعملاق بين قبيلة من الأقزام، بل كان من أوائل فلاسفة التأريخ سابقا: ميكيافيلي(ت 1469-1527م)، وبودان(1530-1596م)، وفيكو(1668-1744م)، وكونت(1798-1857م)، وكورنو(1801-1877م)، وبما أن ابن خلدون أسبقهم زمانا- بنحو أربعة قرون- وأبعدهم مكانة؛ لإقامة العلم على دعائم سليمة واستيعاب جل مسائله، فكلهم كانوا عالة عليه، وهو في الحق إمام مدرسة فلسفة التأريخ- مع مسكويه-،

---

[130] مرجليوث: دراسات عن المؤرخين العرب: ص 142.

[131] أحمد محمد صبحي: في فلسفة التاريخ: الإسكندرية، 1975م، ص 134- 135، أحمد محمد شاكر: جمهرة مقالات العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر: 318/1، عبد الحليم عويس: ابن خلدون وريادته لعلم تفسير التأريخ: مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،95 جزءًا، 244/15.

والفيصل بين مرحلتين حاسمتين في منهج البحث التأريخي، وهو كذلك بداية عصر جديد في الكتابة التاريخية يمكن تسميته بلا تحفظ (عصر ابن خلدون) [132].

إذ استطاع أن يقدم إطارًا متكاملًا لفلسفة نقدية للتاريخ، ويضع في ثنايا ذلك قواعد لعلم الاجتماع البشري ( العمران )، لدرجة دعت أكثر علماء الاجتماع يعدونه مؤسس علم الاجتماع، أكثر منه مؤسسا لعلم فلسفة التأريخ. مع ما بينهما من وشائج قوية[133].

وتبدأ الإثنوجرافيا بوصف بيئة الظاهرة، وتصنيف الأفراد والجماعات، وتنتهي بتحليل العلاقات البنائية بين عناصر المجموعة[134]، وتستخدم الثقافة لتفسير تشكل تفضيلات الناس واختياراتهم ودوافعهم[135].

ويغفل بعض الباحثين عن هذه الحقيقة فيما يتعلق بالتاريخ الإسلامي بعامة، ويتعجبون من ابن خلدون، واضع فلسفة التاريخ كيف لم يطبق منهاجه النقدي على تاريخه هو، وسلك فيه سبيل المؤرخين قبله، من رواية الغث والسمين، وقد أغناه عن ذلك ما ضربه من الأمثلة في المقدمة؛ إذ لو تتبع سقطات المؤرخين لما كفته المجلدات لتقصيها، فكان كمن يقوم بدراسة نص معين، فينبه على ما فيه من خطأ وصواب، ثم يقدمه كما هو من غير زيادة ولا نقصان[136].

---

[132] ينظر: أحمد محمد صبحي: في فلسفة التاريخ: ص 135/134، عبد الحليم عويس: ابن خلدون وريادته لعلم تفسير التأريخ: 244/15، علي عبد الواحد وافي: عبد الرحمن بن خلدون: حياته وآثاره ومظاهر عبقريته: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، سلسلة أعلام العرب، مكتبة مصر، القاهرة(د.ت)، ص206، علي محمود إسلام الفار: معجم علم الاجتماع: ص 465.

[133] عبد الحليم عويس: ابن خلدون وريادته لعلم تفسير التأريخ: 245/15.

[134] ينظر: جولي ماكليود، ريتشيل طومسون: بحث التغير الاجتماعي(المقاربات الكيفية): ص171،

Harper,D: Small ns and community studies in S. Ragan and H.S. Backer(eds), What is a case?: exploring the foundations of social inquiry. Cambridge ; New York: Cambridge University Press, 1992. P.149.

[135] دوناتيلا ديلا بورتا، مايكل كيتنج: مداخل ومنهجيات البحث في العلوم الاجتماعية: مدخل تعددي: ترجمة: منال زكريا حسين، خالد عبد الفتاح، خالد كاظم، مراجعة: أحمد زايد: سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين، عدد 2957، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016م، ص205.

[136] عبد الله كنون: نفي تقول سخيف على الجناب المحمدي الشريف: مجلة البحوث الإسلامية: الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض،(د.ت) عدد 20، ص208.

ولكي يستطيع علم السياسة المقارن التغلب على أخطاء الماضي والاستفادة منها وتلافي مشكلاتها الممكنة فعليه التحول إلى أداة واعية للهندسة الاجتماعية[137]؛ لأن البحث الطولي الكيفي مفيد عند تناول فرد في فهم التفاعلات الدينامية بين الحركة الزمنية والجغرافية من وجه، وبين عوامل الوساطة والبنية[138] من وجه آخر. وقد ذهب أرسطو وابن خلدون إلى وجود اطراد في السلوك الإنساني شبيه باطراد الطبيعة، وأن النتائج تستخلص من الوقائع العادية وتكرار الحوادث المتشابهة[139]؛ حيث تشير النظرية المؤسساتية إلى أهمية المؤسسات في بناء السلوك السياسي؛ لنمو العلم الاجتماعي داخل سياق سياسي وتاريخي أوسع أفقا[140]. ويظهر ذلك الأثر فيما تركته مؤسسة الخلافة وحكومة بغداد في نفس ابن طولون وتوجهه السياسي الرامي إلى الاستقلال ومناطحة البلاط العباسي.

وقد أشاد فلنت بابن خلدون وأشار إلى سبقه، ونشر في سنة 1874م كتاب (فلسفة التاريخ في فرنسا وألمانيا)، وقارن بين ابن خلدون وفيكو الإيطالي (1667– 1744م) في كتابه (مبادئ علم جديد في الطبيعة المشتركة للأمم) سنة 1725م[141]، الذي سمي بسببه ( مؤسس فلسفة التاريخ ومؤسس علم الاجتماع)، ومما أثبت في المقارنة: أن فيكو يصدق قصص العمالقة، ويبني عليها قسمًا كبيرًا من آرائه ونظرياته، في حين أنَّ ابن خلدون يفندها بصراحة وشدة. ثم يوازن بين طريقتيهما في البحث والتفكير، ويقول: فلا مجال للشك إذن في أن نزعة ابن خلدون الفكرية في هذا الصدد كانت أقرب من نزعة فيكو إلى مناحي الأبحاث العلمية بوجه عام، وإلى أصول علمي التاريخ والاجتماع بوجه خاص[142].

---

[137] دوناتيلا ديلا بورتا، مايكل كيتنج: مداخل ومنهجيات البحث في العلوم الاجتماعية: مدخل تعددي: ص 211، Blyth, Mark: Great Punctuations: Prediction, Randomness, and the Evolution of Comparative Political Science American Political Science Review 100(4),1997.p.493.

[138] ينظر: جولي ماكليود، ريتشيل طومسون: بحث التغير الاجتماعي(المقاربات الكيفية): ص133–134.

[139] مرجليوث: دراسات عن المؤرخين العرب: ص 169.

[140] دوناتيلا ديلا بورتا، مايكل كيتنج: مداخل ومنهجيات البحث في العلوم الاجتماعية: مدخل تعددي: ص 207–208، 210.

[141] أحمد شاكر: جمهرة مقالات أحمد شاكر: 319/1، ول ديورانت: قصة الحضارة: 64/40.

[142] أحمد شاكر: جمهرة مقالات أحمد شاكر: 319/1.

فحين يلجأ فيلسوف التاريخ لرصد كل العوامل النفسية والبيولوجية والفكرية والعقدية والاقتصادية، يقدم لنا مفسر التاريخ صورة تبدو كأنها إعادة حية (متحركة) للوقائع، حتى نحس بطبيعة العوامل التي تقف خلف الأحداث[143].

كما أن حق ابن خلدون في لقب مؤسس علم التاريخ أو فلسفة التاريخ أقوى وأثبت من حق كل كاتب سبق (فيكو)، وأقوى وأثبت من حق (فيكو) نفسه؛ لأنه كان أقدم منه كثيرًا، ولأنه كان أقرب منه إلى الروح العلمي الحديث[144].

وبعد أن دعا ديكارت(1595- 1650م) إلى الشك المنهجي المتعمد والمنظم في كل المعارف والطعن في مصداقيتها لأدنى شبهة[145]، تأثر إسبينوزا(1632- 1677م) بالشك عنده وزاد عليه، فشك في معارفه ومصادرها[146]؛ إذ تعد المعرفة الحدسية عند إسبينوزا أسمى أنواع المعرفة؛ لأنها تدرك الشيء بماهيته أو بعلته القريبة، وليست استنتاجية سريعة[147]، ولعل ذلك الفهم دفعه إلى أن يرى أن للكون جانبين: أحدهما إلهي، والآخر عالمي دنيوي، وأن الإله والعالم شيء واحد يخضع للفكر والامتداد، فالفكر – القوانين الثابتة والدقيقة – يمثل الجانب الأول، أما الامتداد –أحد تجليات الحتمية لتلك القوانين– فيمثل الجانب الآخر[148].

---

[143] عبد الحليم عويس ابن خلدون وريادته لعلم تفسير التأريخ: 249/15.

[144] أحمد شاكر: جمهرة مقالات أحمد شاكر: 319/1.

[145] ينظر: عبد الرشيد محمودي: فلاسفة الأندلس، سنوات المحنة والنفي والتكفير: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2019م، ص159، ديكارت: التأملات في الفلسفة الأولى: ترجمة عثمان أمين، القاهرة، 2014م، ص77.

[146] حسن حنفي: في الفكر الغربي المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، بيروت، 1990م، ص55، آية سمير: الاتجاهات الفلسفية في تطهير الذات، دراسة تحليلية نقدية في التأمل الفلسفي عبر العصور، سلسلة الفلسفة، عدد 56، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2022م، ص 119، ول ديورانت: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي: حياة وراء أعاظم رجال الفلسفة في العالم: ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة دار المعارف، بيروت، الطبعة السادسة،(د.ت) ص209-210، Richard Franks; Modern Philosophy( the seventeenth and eighteens centuries) London, 2003. P. 85.

[147] آية سمير: الاتجاهات الفلسفية في تطهير الذات، دراسة تحليلية نقدية في التأمل الفلسفي عبر العصور: ص 120، إسبينوزا: رسالة في إصلاح العقل: ترجمة: جلال الدين السعيد، تونس، دار الجنوب للنشر، 1990م، ص33، ول ديورانت: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ص210.

[148] فؤاد زكريا: إسبينوزا: ص77-78، آية سمير: الاتجاهات الفلسفية في تطهير الذات، دراسة تحليلية نقدية في التأمل الفلسفي عبر العصور: ص 112، Richard Franks; Modern Philosophy: P.79.

وقد تأثر ابن خلدون في مقدمته بالسنن الاجتماعية التي أشار إليها القرآن في وضع أساس علم الاجتماع [149]، فنفسية الفرد في المجتمعات التاريخية مفعمة بالنزعة الدينية؛ لذا يعرف الإنسان بأنه حيوان ديني [150].

أما عن تقسيم الأحكام فتنقسم إلى نوعين: تحليلية: محمولها مستخرج من مفهوم موضوعها، وتركيبية: يزيد محمولها شيئا جديدا عن الموضوع[151]. فلو مثَّلنا بجملة واحدة للنوعين وقلنا: ابن طولون رأس الدولة الطولونية، لأمكن أن نفهم حكما تحليليًّا مفاده: أنه أول من حكم في الدولة الطولونية، ولأمكننا أن نستنتج حكمًا تركيبيًّا كذلك، فنزيد محمول العبارة جوازا إلى أنه أقوى أمرائها، وأذكاهم وأطولهم حكما وتمكينا لمظاهر الملك والاستقلال والتصدي للأخطار، والواقع التاريخي يعضد القراءة الأولى والثانية، ولا يتعارض معهما.

ولا يمكن أن نقرأ التاريخ أو نعيد قراءته بالمناهج التقليدية دون الانغماس في الفلسفة وعلم الاجتماع وتنمية ملكة النقد، بعد أن اتجهت معظم نخب العالم إلى أفكار الصراع الطبقي والحتمية التاريخية واعتمدت العلمانية أو التنوير ستارا، وماركسية التحليل النقدي منهجًا جدليًا[152].

وإذا كان الفيلسوف والمؤرخ يتحريان فلسفة الحدث وتاريخه[153]، فلا ينبغي لنا النظر إلى التاريخ بوصفه علما فقط، أو حرفة نتعلمها بالتدريب؛ لأن الحضارة الإنسانية وسط

---

[149] عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع: دار الفكر، الطبعة الخامسة والعشرون، 1428هـ/2007م، ص 40.

[150] مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (ت 1393هـ/1973م) ميلاد مجتمع: ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر – الجزائر/دار الفكر دمشق – سورية، الطبعة الثالثة، 1406هـ/1986م، ص 67.

[151] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة: ص 203.

[152] ينظر: حجاج أبو جبر: ازدواجية التنوير – دراسات في النقد الثقافي المقارن، سلسلة الفلسفة، عدد 55، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2022م، ص 62، تيودور أدورنو، وماكس هوركهايمر: جدل التنوير، ترجمة: جورج كتورة، دار الكتب المتحدة، بيروت، 2006م، ص67، عبد الغفار مكاوي: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، تمهيد وتعقيب نقدي: حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، عدد 88، 1993م، ص22.

**[153] ويدجري: المذاهب الكبرى في التاريخ، من كونفوشيوس إلى توينبي: ترجمة ذوقان قرقوط، بيروت، 1972م، ص299، محمود إسماعيل، سلمى محمود إسماعيل: فلسفة التاريخ بين فلاسفة الغرب ومؤرخي الإسلام: ص9.**

بين التاريخ والفلسفة[154] من وجه، ولتلازم عمل المؤرخ والفيلسوف واعتماد كل سبَّاح منهما على صاحبه من آخر، ومناطُ الغوص فيهما واستخراجُ دررِهما التفسيرُ والتحليل والبحث عن الدوافع وتجلية النتائج.

فالمعرفة التاريخية الشاملة لا تغض الطرف عن الأزمات والكوارث ولا تفصل الفترات التاريخية عن الحدود الجغرافية، بل تهتم بالظواهر الكبرى والصغرى، وكان كثير من مؤرخينا المسلمين على درجة كبيرة من الوعي بأهمية فتح الإطار وتكبير العدسة أو تسليط الضوء على الأحداث الخطيرة والتفصيلات الصغيرة[155].

وقد لاحت منذ القدم الحاجة الماسة إلى التحليل النقدي للتاريخ، وقد مارسه نسبيا على استحياء بعض المؤرخين شرقا وغربا على تفاوت الحجم والرؤية والهمة واستقلالية المنهج، فعاش مضمون فلسفة التاريخ عهودا طويلة، لكن المصطلح لم يظهر إلا في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، على يد فيكو(1668-1744م)، ومونتسكيو(1689-1755م)، وفولتير(1694-1778م)، وكوندرسيه(1743-794م)، [156].

وحري بنا أن نذكر أن الماديةَ التاريخية جَمعتْ بين التفلسف والتعويل على الأحداث التاريخية؛ باستنباط الكليات من الجزئيات، وتنحية البعد الأخلاقي- دون تنحية التجليات الدينية- عن تفسير التاريخ، والتوجس من الأحكام المعيارية المطلقة قبل تطبيق قانون السببية عليها في التاريخ الشامل، فلم يكد ينتصف القرن العشرون حتى أسفر الخلاف بين جيل الوسط- أنصار (فلسفة التاريخ) بعدما انقسموا إلى فريقين: أحدهما يفسر التاريخ من الخارج بدراسة الأنماط المثالية والمادية، والآخر يفسره من الداخل بتحليل معطيات الأحداث- عن البحث عن بديل، ومع هذا التخبط وغياب النظرة الشمولية التكاملية في

---

[154] بول فين: أزمة المعرفة التاريخية: ترجمة إبراهيم فتحي، بيروت،( د. ت)، ص 170، 172، كولنجوود: فكرة التاريخ، ترجمة: محمد بكير خليل، القاهرة، 1961م، ص41-42، هرنشو: علم التاريخ: ترجمة: عبد الحميد العبادي، القاهرة، 1988م، ص7، Carr, E. H: What is history, Penguin, 1964, p86.

[155] لمزيد من التفصيل ينظر: سيار الجميل: تحقيب الأزمنة وحوليات التاريخ ومفاهيم التاريخ الجديد: ص259، المجايلة التاريخية، فلسفة التكوين التاريخي(نظرة رؤيوية في المعرفة العربية الإسلامية)، بيروت، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1999م، ص401.

[156] ينظر: محمود إسماعيل، سلمى محمود إسماعيل: فلسفة التاريخ بين فلاسفة الغرب ومؤرخي الإسلام: ص9، أمل مبروك: فلسفة التاريخ: القاهرة، 2010م، ص15، Stanford, M; An introduction to the Philosophy of History, Blackwell Publisher, 1998. P.12.

إعادة قراءة النص التاريخي واستنطاق وحداته الصغرى ورعاية المهمشين والضعفاء، ظهرت (مدرسة التاريخ الجديد) الرافضة لكلا التفسيرين السابقين للتاريخ: من الخارج، ومن الداخل، ورأى المؤرخون الجدد أهمية تطعيم التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمناهج العلوم البينية وتطبيقها على الأسرة ومشكلات الحياة والمواليد والوفيات والأمراض، وعدوا مشكلات الأسرة وما يتعلق بها قاعدة التاريخ الحقيقية[157].

وعلى الرغم من حداثة المدرسة، فقد عرفت في فرنسا باسم (مدرسة الحوليات)، وفي ألمانيا باسم (مدرسة فرانكفورت)، ومن أشهر أعلام الأولى: مارك بلوك(1886-1944م)، ولوسيون فيفر(1878-1956م)، وموريس لومبار(1904-1965م)، أما المدرسة الألمانية فقد بزغ فيها نجم فتنجشتين(1889-1951م)، وأدورنو(1903-1969م)، والغريب أنه على الرغم من رفض المؤرخين الجدد تفسير التاريخ من الداخل ومن الخارج، فإن المتتبع لأدبيات هاتين المدرستين ونتاجهما يجد تأثرهما – بوضوح، أو من طرف خفي- بفلسفة التاريخ عند ماركس(1818-1883م) وهيجل(1770-1831م)[158].

وليس أدل على الهوة السحيقة بين فريقي فلسفة التاريخ من اعتماد صمويل هنتنجتون(1927-2008م) نظرية التاريخ من الخارج في قراءة الواقع المعاصر، مفسرا أحداثه وفقًا لصراعين: حضاري عام، وديني خاص، متأثرا بفلسفة هيجل، على حين تبنَّى العالم والفيلسوف المعاصر فرنسيس فوكوياما( ولد سنة 1952م) الرؤية الليبرالية

---

[157] لمزيد من التفصيل حول موقف بعض المؤرخين والمفكرين المناهض لفلسفة التاريخ وإرهاصات التحول إلى التاريخ الجديد ينظر: أحمد صبحي: في فلسفة التاريخ: ص126-130، محمود إسماعيل، سلمى محمود إسماعيل: فلسفة التاريخ بين فلاسفة الغرب ومؤرخي الإسلام: 10-12، أنجلو أوسينوبوس، وبول ماس، وإمانويل كنت: النقد التاريخي: ترجمها عن الفرنسية والألمانية عبد الرحمن بدوي: دار النهضة العربية، 1963م، ص65، بول فين: أزمة المعرفة التاريخية: ص 166-168، 283-285،ويدجري: ألبان: المذاهب الكبرى في التاريخ، من كونفوشيوس إلى توينبي: ص316-317، مصطفى العبادي: تأملات حول التاريخ والمؤرخين، مجلة عالم الفكر، المجلد 20، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986م، ص256-257.

[158] محمود إسماعيل، وسلمى محمود إسماعيل: فلسفة التاريخ بين فلاسفة الغرب ومؤرخي الإسلام: ص13، Stone, L; The revival of narrative: Reflection on a new old history, Past and Present, London, 1979. P. 15.

الرأسمالية المؤسسة على تفسير التاريخ من الداخل، وعول على رفض فلسفة التاريخ، وزعم أن الصراع العالمي حسم لصالح النظام الرأسمالي[159].

واعتمدت العلمانية على مبدأ (الميكيافيلية) في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق بمنح الغاية كل الامتيازات لتبرير الوسيلة، مهما كانت منافية للدين والأخلاق، حسنة كانت أم سيئة[160]؛ ورأى ميكافللي (1469–1527م) أن فلسفة التاريخ وعلم الحكم أمكن وجودهما؛ لأن الطبيعة البشرية لا تتبدل أبدًا[161].

كما أن إسبينوزا(1632– 1677م) رفض فلسفة ديكارت(1595– 1650م)، وأقام فلسفته على شكل من أشكال وحدة الوجود، ثم جاء كانط(1724–1804م) فنقد كل أشكال العقل، ثم أقام هيجل(1770–1831م) فلسفته على المطلق، ثم رفض فيورباخ(1804–1872م) كل الفلسفات السابقة، وأقام فلسفته على الطبيعة والأنسنة، وإذا كان باركلي(1685– 1753م) قد أنكر المادة، فإن ماركس(1818–1883م) رفض كل ذلك وقرر أن المادة هي المتحكمة بكل ما في الكون، وهكذا لم يتفق الفلاسفة على هذه الأسس المزعومة[162].

وهذا التأثر يدل من وجه على التقارب بين الاتجاهين– مع ما بينهما من رفض واختلاف وتشويه، ودعوى أنصار كل مدرسة نقْصَ الأخرى– كما أن التأثر مدعاة من

---

[159] محمد الجوهري: من الخارج أم من الداخل: بحث في مؤتمر معهد جوته، الإسكندرية، 2005م، ص2، محمود إسماعيل، سلمى محمود إسماعيل: فلسفة التاريخ بين فلاسفة الغرب ومؤرخي الإسلام: ص13.

[160] أحمد العوايشة: موقف الإسلام من نظرية ماركس: دار مكة للطباعة، الطبعة الأولى، 1402هـ/1982م، ص612، عبد الرحمن الميداني: كواشف زيوف: دار القلم، الطبعة الأولى: 1405هـ/1985م، ص379، علي محمد جريشة، ومحمد شريف الزيبق: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي: ص168، محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة: دار الشروق، بيروت، الطبعة الثانية، 1407هـ/1987م، ص 466، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي: العلمانية وموقف الإسلام منها: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 115– السنة 1422،34هـ/2001م، ص 410.

[161] ول ديورانت: قصة الحضارة: 57/21.

[162] مصطفى باحُو السلاوي المغربي: العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب: ص146، يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة: ص154، 159، وينظر: حجاج أبو جبر: ازدواجية التنوير– دراسات في النقد الثقافي المقارن: ص 62، عبد الغفار مكاوي: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، تمهيد وتعقيب نقدي: ص22، محمد جريشة، ومحمد شريف الزيبق: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي: ص 6، محمود إسماعيل، وسلمى محمود إسماعيل: فلسفة التاريخ بين فلاسفة الغرب ومؤرخي الإسلام: ص13، Stone, L; The revival of narrative: Reflection on a new old history, Past and Present. P. 15.

وجه آخر إلى الحاجة الماسة إلى منهج توفيقي جديد– أو نظرية جديدة– في التاريخ وفلسفته، بعد أن اكتفى ابن خلدون بالتنظير تاركا تطبيق ما نادى به في المقدمة إلى من يأتي بعده من المؤرخين، فكان(التفسير المتنامي للبنية التاريخية).

## المبحث الثالث: بِنْيَةُ النَّزْعة الانتقامية لَدَى ابن طولون

يعد مونتسكيو(1689–1755م) أحد رواد التنوير الفرنسي[163]، غير أنه اختزل دور الفرد وهبط به في التاريخ. فالفرد مهما عظمت عبقريته لا يعدو أن يكون أداة (الحركة العامة) ولا ترجع أهميته إلى قدرته الفائقة بقدر ما ترجع إلى التقائه قدرا مع ما أسماه الفيلسوف الألماني هيجل (روح العصر)[164]، وبفلسفته افتُتِح القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، وقد كان أكثر الفلاسفة تأثيرًا في أوربا والأكثر أتباعًا، وأهم أتباعه من أطلق عليهم (اليسار الهيجلي)[165].

وليس غريبا أن تتشبع شخصية ابن طولون بقوتين عظميين، هما(الزمن والعبقرية)؛ لتنضج عبقريته، ويتنامى طموحه المشروع على نار من الزمن. والعباقرة ليسوا بالضرورة طاهرين أخلاقيا، لكن العبقرية تصبح بلا مُعين لها إذا لم تتمثل روح العصر ومتطلباته (سواء كان العبقري واعيًا بذلك أم لا) فالعباقرة لهم بصيرة نافذة بمتطلبات العصر – أو بتعبير آخر– يدركون ما الذي نضج ووصل لمرحلة القابلية للتطوير[166]. وللوقوف على دوافع تلك النزعة الانتقامية لدى ابن طولون نعرض المواقف الآتية:

### المطلب الأول: الانحراف المزاجي مِن الحِلم إلى الانتقام:

من مظاهر النزعة الانتقامية عند ابن طولون إذلال كل من أساء إليه، أو ألغى وجوده، أو وشى به لدى حكومة بغداد، أو حاول الحيلولة دون طموح الأمير الشاب نحو الاستقلال بمصر، أو خالف أوامره بالامتناع عن إصدار فتاوى تمكينه، ومن بين الواشين

---

[163] حسن بن محمد حسن الأسمري: النظريات العلمية الحديثة مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها دراسة نقدية: 636/1.

[164] ول ديورانت: قصة الحضارة: 156/36.

[165] حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب: المؤسسة الجامعية، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م، ص258، حسن بن أحمد عبد الحليم عطية: الإنسان في فلسفة فيورباخ، دار التنوير، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م، ص53–55، وقد سار اليسار الهيجلي بمادية القرن الثامن عشر الميلادي ونزعته العدائية للدين عمومًا، لاسيّما الكاثوليكي منه إلى أسفل دركاتها، بزعزعة قيمة الدين ومكانته، ومن أشهر مذاهبه: الاتجاه الماركسي. حسن الأسمري: النظريات العلمية الحديثة مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها دراسة نقدية: 195/1، 198، 207.

[166] ول ديورانت: قصة الحضارة: ملحق/1309.

بـه عنـد مؤسسـة الخلافـة متـولي الخـراج أحمـد بـن المـدبر (ت270هـ/884م)، وشـقير الخـادم(ت254هـ/868م) عامـل البريـد[167]مـولى قبيحـة(ت264هـ/878م)[168] أمّ المعتزّ (4مُحرَّم 252 – 27 رجب 255هـ/25 يناير 866 – 13 يُوليو 869م).

وقـد كـان ابـن طولـون(254–270هـ/868– 883م) إذا دخـل علـى المسـتعين بالله(6ربيع الآخر 248–4 مُحرَّم 252هـ/8 يُونيو 862–25 يناير 866م) مع الأتراك في الخدمة أومأ إليه الخليفة بالسَّلام سرًّا، واستدام الإحسان إليه، ووهب لـه جارية اسمها ميَّاس[169]، فولـدت لـه ابنـه خُمارويـه(270– 282هـ/883–895م) فـي المحـرَّم سـنة 250هـ/864م[170]، ثـم خـاف غلمـان المتوكـل(232–247هـ/847–862م) مـن كيـد المستعين، ولما تنكّر الأتراك للمستعين وخلعوه وأنزلوه إلى واسط، قالوا لـه: من تختار أن

---

[167] البلوي: سيرة ابن طولون: ص43، 56، ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت630هـ/1233م): الكامل في التاريخ: تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، عشرة أجـزاء، دار الكتـاب العربـي، بيـروت – لبنـان، الطبعـة الأولـى، 1417هـ/1997م، 250/6، ابـن خلـدون: تـاريخ ابـن خلدون:386/4، المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا: ج1، تحقيق: جمال الدين الشيال، ج2، ج3، تحقيق: محمد حلمـي محمـد أحمـد، الـذخائر، أعـداد مـن 58– 60، الهيئـة العامـة لقصـور الثقافـة، سـنة 1999م، 268/2، المـواعظ والاعتبار: 121/2.

[168] امرأة تركية اسْمهَا قبيحة؛ لفرط جمَالهَا بَين النِّسَاء، عرَّضَتِ ابْنَهَا لِلْقَتْلِ لأَجلِ خَمْسِيْنَ أَلفِ دِيْنَارٍ، يُرضِـي بِهَا الأَتْرَاك. أخذها ابن وصيفتها وعذبها، حتى أخذ منها ألف ألف دينار ذهبا ونصف أردب من لؤلؤ ومثلـه زمرد وسدس أردب من ياقوت أحمر، ثم أخرجت إلى مكة، وأقامت بها إلى أن ماتت، وأقل الناس الترحم عليها؛ بسبب ضـنها بالمـال الـذي احتاجـه ولـدها، فقتل وصـوردت أموالهـا. ينظـر: الـذهبي: سير أعـلام النبلاء، تحقيـق: شـعيب الأرنـاؤوط ومحمـد نعـيم العرقسوسـي، مؤسسـة الرسـالة، الطبعـة التاسـعة، بيـروت، 1413هـ/1992م، 535/12، العصامي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت 1111هـ/1699م) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م، 474/3، محمود مقديش(ت 1228 هـ/1813م): نزهة الأنظـار فـي عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ، جزآن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م، 259/1.

[169] البلوي: سيرة أحمد بن طولون: ص 39، ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(ت 597هـ/1201م): المنتظم في تاريخ الملوك الأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، تسعة عشر جزءا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م، 230/12، ترجمة رقم 1751، ابن عثمان: موفق الدين أبو محمد بن عبد الرحمن الشافعي (ت615هـ/1218م): مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، جزآن، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1415هـ/1994م، 652/1، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: 77/16، المقريزي: المواعظ والاعتبار: 120/2، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة:5/3–6.

[170] البلوي: سيرة أحمد بن طولون: ص 39، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان:182/16.

يكون في صحبتك؟ فقال: أحمد بن طولون، فبعثوه معه فأحسن صحبته[171]، وأطلق له الصيد والتنزّه[172].

ثمّ إنّ قبيحة(ت264هـ/878م) أمّ المعتزّ(4مُحرَّم 252- 27 رجب 255هـ/25 يناير 866 - 13 يُوليو 869 م) والأتراك كتبوا إلى أحمد: اقتل المستعين ونولّيك واسطا؛ فكتب إليهم: لا رآني الله قتلت خليفة بايعت له أبدًا[173]! وربما زاد " له في رقبتي بيعة وأيمان مغلّظة"[174]، فعظم عند ورود كتابه في قلوب الأتراك[175].

غير أنهم بعثوا بسعيد بن صالح الحاجب جزار بني هاشم [176] (ت 277هـ/890م) وكتبوا معه أن يتسلّم المستعين من أحمد بن طولون. فأسلمه أحمد إليه بحضرة قاضي واسط والشهود، وخرج به سعيد إلى خيمة بالصحراء، وقتله بالقاطول[177] ومضى[178].

---

[171] البلوي: سيرة أحمد بن طولون: ص 40، ابن الجوزي: المنتظم:230/12، ترجمة رقم 1751، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان:77/16، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:386/4، المقريزي: المقفى الكبير:255/1، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة:5/3-6.

[172] البلوي: سيرة أحمد بن طولون: ص39، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:386/4، المقريزي: المقفى الكبير:255/1.

[173] البلوي: سيرة أحمد بن طولون: ص40، ابن الجوزي: المنتظم:230/12، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: 300/15، 77/16، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:386/4،المقريزي: المقفى الكبير:255/1، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: 335/2، 5/3-6، السيوطي: تاريخ الخلفاء: ص 261.

[174] البلوي: سيرة أحمد بن طولون: ص40، المقريزي: المقفى الكبير:255/1.

[175] البلوي: سيرة أحمد بن طولون: ص40، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:386/4، المقريزي: المقفى الكبير:255/1، ولا شك أن هذا الامتناع النبيل -مع خطورة رفض رغبة مراكز القوى في حكومة بغداد- فيه ربط بين إنهاض الإنسان لحياته واتصاله بالمجتمع، بالاعتماد على البادرة الشخصية لتأكيد القيم الاجتماعية. ينظر: Henri Daudin: La liberté de la volont: (Presses universitaires de France), Paris, 1950, p.130.

[176] البلوي: سيرة أحمد بن طولون: ص41.

[177] القَاطُولُ: فاعول من القطل وهو القطع، وقد قطلته أي قطعته، والقطيل المقطول أي المقطوع: كأنه مقطوع من دجلة بين الجزيرة والموصل، في موضع سامرّا قبل أن تعمّر، وكان الرشيد(170-193هـ/787-809م) أول من حفر هذا النهر وبنى على فوهته قصرا سماه أبا الجند؛ لكثرة ما كان يسقي من الأرضين، وجعله لأرزاق جنده. اليعقوبي: البلدان: ص 56، ابن الفقيه: البلدان: ص 316، البكري: معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع: 1044/3، ياقوت الحموي: معجم البلدان: 297/4، ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: 1057/3، ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب: ص 254، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار: ص 449.

فأتى أحمد وهو "يبكي وينتحب عليه، كما تبكي الثكلى"[179]، وغسّله وصلّى عليه ودفنه[180].

**تعقيب من منظور التفسير المتنامي:**

أكاد أزعم أن ذلك التنكر من حاضرة الخلافة للخليفة المستعين بخلعه وقتله، وهو في معية ابن طولون بعدما قربه، وكافأه، وأنس إليه، ووثق به؛ لحزمه وشجاعته ووفائه ومروءته وديانته، كان له أثر موحش في نفس ابن طولون، دفعه لإذكاء ثورة غضبه على الأتراك والخلافة في آن معا، والاستعداد للانتقام الذي لمَّا تلح أدواته حينذاك، فساعدته الأقدار، وكثرة صراعات مؤسسة الخلافة في الداخل والخارج– وهي لا تخفى على أحد– في ظلال الفوضى العسكرية التي عاشتها الخلافة منذ سنة 247هـ/861م بعد مقتل المتوكل(232–247هـ/847–862م) حتى ولاية المعتمد (256هـ/279هـ/870–891م) على الاستقلال الممنهج البطيء بمصر والانتقام الذي كان يراوده منذ غُدِر بمولاه في حضرته.

فربما شعر بالعجز عن حماية المستعين، وبالذنب– الذي لم يغفره ويكفره إلا الاستقلال بكنانة الله في الأرض وسلة غلالها، ومقامها الكريم ومناهضة الخلافة– في المشاركة في الجريمة بالسكوت أو ترك الخليفة للجزار، وهو يعلم نيته، وإن كان– في رأيي– يطمئن نفسه ويطيَّب خاطره بامتناعه عن قتله والتزامه ببيعته من قبل، كلما وخزه ضميره أو وكزته هواجسه، فتحين كل فرصة لتوسيع ممالكه وتجهيز جيشه وتقويته؛ لمواصلة جهاد الروم في الثغور، وحماية سواحل مصر والشام والحجاز، والظهور على مسرح الأحداث بطلا رئيسا، وندًّا عظيما، وخصمًا شريفا لكل القوى المسيطرة على البلدان أو الطامعة في السيطرة والخروج بتمرد أو بثورة، فدعي له على المنابر، ونقش اسمه على العملة، وزاحم أقوى ولاة عهدها/القائد الأعلى للجيوش الإسلامية في أزهى أوقات قوة

---

[178] الطبري = تاريخ الرسل والملوك: 363/9، ابن عساكر: ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ/1176م): تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، ثمانون جزءا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ/1995م، 339/21، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: 299/15–300، الذهبي: تاريخ الإسلام:56/19، ابن عثمان: مرشد الزوار: 652/1، ابن خلدون: تاريخه:386/4، المقريزي: المقفى الكبير:255/1، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة:336/2، محمود مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار:258/1.

[179] البلوي: سيرة أحمد بن طولون: ص41.

[180] ابن عثمان: مرشد الزوار: 652/1، ابن خلدون: تاريخه:386/4، المقريزي: المقفى الكبير:255/1.

الخلافة العباسية في عصرها الثاني، وتحدثني نفسي- الآن- أن ما دفعه- من مال ونحوه- للخلافة كان- من وجهة نظر ابن طولون- صدقةً واستعلاءً وإقرارًا بحاجتهم إليه أكثر من حاجته إلى اعترافهم بشرعيته.

ومن الموافقات العجيبة أن الأم التي طلبت من ابن طولون قتل الخليفة المستعين، لتفسح الطريق إلى السلطة لابنها المعتز كانت ببخلها سببا في قتله، وربما كان لهذه الشخصية الغريبة أثرا في إذكاء وعي ابن طولون السياسي، وتنبهه منذ وقت مبكر لألاعيب الساسة ومؤامرات البلاط في حكومة بغداد.

ولا أميل لتبرئة قبيحة استنادا إلى افتراض خبرتها السياسية بنفوس الأتراك، وظنها أن إنفاقها أو إمساكها لن يغير مصير ولدها الخليفة المعتز؛ لأنا لو سلمنا جدلا بأن الأموال لن تحول دون عزل الخليفة، ولن تمنع من قتله، فهذا أمر احتمالي، يحكم المستقبل بثبوته أو بعدم يقينيته، فكان أولى بها أن تتحرك داخلها عاطفة الإيثار بدلا عن الأثرة، وتقدم غريزة الأمومة على شهوة كنز المال، مع كثرته، خاصة أن المطلوب منها لاستمالة الأتراك ووقوف القواد مع ابنها ضد صالح بن وصيف(ت 256هـ/870م) كان مبلغًا زهيدًا(50 ألف دينار)؛ إذا قيس إلى مجموع بعض ثروتها(3 مليون دينار[181]) كان 1.6% تقريبا، بخلت به وضنت طواعية واختيارا، فضحت بابنها وبمالها كرها وإجبارا؛ فما أقبح ما اقترفته أمٌّ جميلة المنظر قبيحة الاسم والجوهر!

أما عن مساعدة الأقدار لطموح ابن طولون فنختار منها محاولة عيسى بن الشيخ الشيباني(ت269هـ/882م) الاستقلالَ بالشام والاستيلاءَ على المال المرسل من مصر إلى مؤسسة الخلافة، إذ من الغرائب أن هذه المحاولة صبت في مصلحة ابن طولون بعد مجيئه إلى مصر بثلاث سنوات فقط، وقبل أن يستقل استقلالًا كليًّا بقلب العالم أم الدنيا؛ حيث استغل حاجة حكومة بغداد إلى التصدي لابن شيخ وضرورة إيقافه [182] بكل سبيل، وفقا لفلسفة التحديات والاستجابة، موظفًا مخاطر التوسع والتمرد والخروج عن مؤسسة الخلافة وعصيانها والاستيلاء على أموالها وقوة خصومها في تكوين جيش كبير مجددا آلاته وأسلحته ولوازمه، مكثرا من شراء العبيد الروم والسودان، ليكونوا درعه وسيفه وقت الأزمات والحروب والمواجهات المباشرة في الداخل والخارج، منتفعا بهم أي انتفاع، بذكائه

---

[181] ذكر الذهبي أنها " ظهرَ لَهَا نَحْوٌ مِنْ ثَلاَثَةِ آلاَفِ أَلفِ دِيْنَارٍ". سير أعلام النبلاء: 535/12.

[182] لمعرفة مزيد من التفصيل ينظر: الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة: ص 162، البلوي: سيرة ابن طولون: ص52، ابن عساكر: تاريخ دمشق: 312/47، المقريزي: المقفى الكبير:256/1.

وفراسته السياسية واستراتيجيته العسكرية– دفاعًا وهجومًا– التي تقدر ماذا يطلب، ومتى، وممن ولماذا؟

ولا شك أن حجم المخاطر التي كانت متوقعة من استقلال عيسى بالشام ثم الزحف على مصر ومناهضة الكيان العظيم الذي بدأ يستعيد هيبته بعد أن تمكن الأتراك والوزراء من الدولة وألغوا شخصيات الخلفاء ووضعوا بعضهم تحت الوصاية والإقامة الجبرية، حتى لم يسلم كثير منهم من التعذيب والخلع والقتل كانت كافية لأن تقدم مؤسسة الخلافة الدعم الممكن وغير الممكن لعدم استنساخ كابوس الضعف والتمزق مرة أخرى، فاغتنم الأمير الطموح هبوب الرياح وكون جيشه بمساعدة العباسيين أصدقائه الألداء، أو – إن صح التعبير– أعدقائه، حين التقت مصالح الطرفين، وإن تحول كل منهما إلى شوكة عصية لا يستسيغها الآخر.

## المطلب الثاني: إذلال عامل البريد ومتولي الخراج:

لمَّا أهدى أحمد بن المدبر إلى ابن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار ردّها عليه، فتخوَّفه ابن المدبّر وقال: هذه همّة عظيمة! من كانت هذه همّته لا يؤمن على طرف من الأطراف[183]. وتحدّث مع شقير الخادم، في مكاتبة الحضرة بإزالة ابن طولون. فورد عليه كتاب ابن طولون وفيه: " قد كنت أعزّك الله، أهديت لنا هدية وقع الغناء عنها، ولم يجز أن نغتنم مالك، كثّره الله! رددناها توفيرا عليك. ونحبّ أن تجعل العوض منها الغلمان الذين رأيتهم بين يديك، فأنا إليهم أحوج منك"[184].

وتتنامي بنية الطموح والطمع في الانفراد بالسلطة والاستقلال بمصر والحد من سطوة الخلافة العباسية ونفوذ أهم رجالها، ووعي ابن المدبر لما يفكر فيه ابن طولون، فقال متولي الخراج عندما ورد كتاب ابن طولون برد الهدية وطلب الرجال بدلا عنها: " هذه أخرى أعظم ممّا تقدّم قد ظهرت من هذا الرجل إذ كان يردّ الأعراض والأموال، ويستهدي الرجال ويستأثر عليهم"[185]، فدل رد ابن طولون البليغ ورفض الهدية على أن يستبدل بها الرجال والجنود والأعوان على ما يفكر فيه، ففطن له ابن المدبر وعرف خطره؛ فلا وجود لفكر دون ألفاظ، هما كالإنسان وظله متلازمان، فالفكر رسم منطقي للوقائع، والقضية

---

[183] البلوي: سيرة ابن طولون: ص43–45، المقريزي: المقفى الكبير:255/1، المواعظ والاعتبار: 121/2.

[184] البلوي: سيرة ابن طولون: ص 45، المقريزي: المقفى الكبير:255/1، المواعظ والاعتبار: 121/2.

[185] البلوي: سيرة ابن طولون: ص45، وقيل: "يستهدي الرجال ويثابر عليهم". المقريزي: المقفى الكبير، 255/1، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار:121/2.

رسم للوجود الخارجي[186]، الذي يخطط له منذ قدومه إلى مصر الأمير الطامح إلى الملك الطامع في الاستقلال الرافض لإشراك مراكز القوى معه. فتحوّلت هيبة ابن المدبر إلى ابن طولون، ونقصت مهابة ابن المدبر بمفارقة الغلمان مجلسه[187]، وصار الأمر كلّه بيد أحمد ابن طولون في سنة 257هـ/871م، وقويت شوكته بذلك وعظم أمره بديار مصر[188].

واتسعت أحواله وكثرت اصطبلاته وكراعه[189]، وعظم صيته، فخافه ماجور[190](ت 264هـ/878م)، وكتب فيه إلى الحضرة يغري به، وكتب فيه ابن المدبر وشقير الخادم، وكانت لابن طولون أعين، وأصحاب أخبار يطالعونه بسائر ما يحدث، فكتم خبر

---

[186] عزمي إسلام: لدفيج فتجنشتين: سلسلة الفلسفة، عدد 60، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2023م، ص278-279، Wittgenstein; Philosophical Investigations(translated by Anscombe, G.E. Rhecs, R. and Von wright- Oxford, Basil Blackwell, 3nd. Impression,1963), p.109.

[187] البلوي: سيرة ابن طولون: ص45، المقريزي: المقفى الكبير، 1/255-256، المواعظ والاعتبار:2/121.

[188] ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله (ت733هـ/1333م): كنز الدرر وجامع الغرر: الجزء الخامس( الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية): تحقيق: دوروتيا كرافولسكي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1413هـ/1992م، 5/268، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة:3/7.

[189] البلوي: سيرة ابن طولون: ص56، 58، المقريزي: المواعظ والاعتبار: 2/123. والكُرَاع: اسْم يجمع الْخَيل. والكُرَاع: السِّلَاح. وَقيل: هُوَ اسْم يجمع الْخَيل وَالسِّلَاح. وهوَ مجازٌ. ينظر في مادة (كرع): ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت458هـ/1066م): المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، أحد عشر جزءا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م، 1/274، العَوْتبي الصُحاري: سَلَمة بن مُسْلِم بن إبراهيم العَوْتبي الصُحاري العُماني(ت 512هـ/1118م): الإبانة في اللغة العربية: حققه: عبد الكريم خليفة، نصرت عبد الرحمن وصلاح جرار، محمد حسن عواد، جاسر أبو صفية، أربعة أجزاء، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، الطبعة الأولى، 1420هـ/1999م، 4/127، الفَتَّنِي: جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (ت 986هـ/1578م): مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، خمسة أجزاء، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة، 1387هـ/1967م، 4/392،الزبيدي: تاج العروس: 22/119، أحمد رضا: معجم متن اللغة، خمسة أجزاء، دار مكتبة الحياة، بيروت،1377- 1380هـ/1958-1960م، 5/53.

[190] هو أرخوز بن أولوغ طرخان التركيّ. وأولوغ طرخان كان تركيا، وقدم بغداد فولد له أرخوز بها؛ ونشأ حتى صار من كبار أمراء الدولة العباسيّة، وتوجّه الى مصر، وولى بها الشّرطة لعدّة أمراء، ثم ولي إمرة مصر بعد موت أحمد بن مزاحم، ودام أرخوز على إمرة مصر وَكَانَ غِرًّا جَاهِلًا، إلى أن صرف عنها بالأمير أحمد بن طولون في شهر رمضان من سنة 254هـ/868م، فكانت ولايته على مصر خمسة أشهر ونصفا؛ وخرج إلى بغداد في أوّل ذي القعدة، ووفد على الخليفة المعتز ( 252-255هـ/866-869م)، فأكرم مقدمه وصار من جملة القوّاد. ابن الأثير: الكامل في التاريخ: 6/347،ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: 2/341-342، جميل عبد الله محمد المصري: طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة العشرون – العددان السابع والسبعون والثامن والسبعون، محرم- جمادى الآخرة، 1408هـ/1988م، ص: 116.

الكتب[191]، وما زال بشقير خائفًا مهانًا، حتى أتاه راجلا من داره وهو البدين المُرَفَّه، حتى هده التعب والحر والجر، فمات بعد ساعات [192]، وكتب إلى الحضرة يسأل صرف ابن المدبر عن الخراج، فأجيب إلى ذلك[193]، وقبض على ابن المدبر وحبسه[194].

وقد استغل ابن طولون حاجة مؤسسة الخلافة إلى مال مصر بعدما ورد كِتاب المُعتمِد(256هـ/279هـ/870-891م) إليه يستحِثّه فِي حمل الأموال إليه[195]، فكتب إِلَيْهِ: " لستُ أُطيق ذَلكَ، والخَراج بيد غيري"[196]، فأسعف بذلك[197]؛ حيث أنفذ المُعتمِد إلى أحمد بْن طُولُون بتقليده الخَراج بِمصر وبوِلايته عَلَى الثغور الشاميَّة[198]، فتسلّم أرض مصر، وخراجها ثمانمائة ألف دينار ديوانيّة عليه[199]، وأسقط المعاون والمرافق، وكانت بمصر خاصة في كل سنة مائة ألف دينار، فأظفره الله عقيب ذلك، بكنز فيه ألف ألف دينار: بنى منه المارستان[200]. وكانت المرافق في مصر تشمل المال الهلالي[201]

---

[191] البلوي: سيرة ابن طولون: ص56، 58، المقريزي: المواعظ والاعتبار: 123/2.

[192] البلوي: سيرة ابن طولون: ص58-59، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:386/4، المقريزي: المواعظ والاعتبار:123/2.

[193] الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة: ص 163، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:387/4، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة:7/3، المقريزي: المقفى الكبير:256/1.

[193] ابن عساكر: تاريخ دمشق: 394/5، ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت711هـ/1311م): مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، تسعة وعشرون جزءًا، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى، 1402هـ/1984م، 269/3، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:387/4.

[194] البلوي: سيرة ابن طولون: ص 59، المقريزي: المواعظ والاعتبار:123/2.

[195] الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة: ص 163، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:387/4.

[196] الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة: ص 163، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة:7/3، المقريزي: المقفى الكبير:256/1.

[197] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:387/4.

[198] الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة: ص 163، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:387/4.

[199] المقريزي: المقفى الكبير:256/1.

[200] المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار:124/2.

[201] المال الهلالي هو: ما يتأدى مشاهرة(شهريا) على حكم شهور السنة الهلاليّة دون الشمسيّة، كأجر الأملاك المسقعة من الآدر والحوانيت والحمامات والأفران والطواحين وعدد الغنم، وأحكار البيوت وريع البساتين التي تستخرج أجرها مشاهرة، ومصايد السمك ومعاصر الشيرج والزيت. النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب: 241/8، القلقشندي: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي(ت821هـ/1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، خمسة عشر جزءا، دار الكتب العلمية، بيروت،(د. ت)، 539/3، المقريزي: المواعظ والاعتبار: 200/1.

أيام ابن المدبر ثم أسقطها أحمد بن طولون وأحياها العبيديون وأصبحت تعرف بالمكوس[202].

واشتدّت وطأة ابن طولون وخافه أحمد بن المدبّر، فكتب إلى أخيه إبراهيم[203](ت 279هـ/893م) أن يتلطّف له في الانصراف عن مصر فورد الكتاب بتقليده خراج دمشق وفلسطين والأردن[204]، وصانع ابن طولون بضياعه التي ملكها، وسار إلى عمله بالشام، وشيّعه ابن طولون ورضي عنه وذلك سنة 258هـ/872م [205]. بعد أن احتال ولاذ بحبل المصاهرة السياسية لينجو بنفسه في خروج آمن، فعقد نكاحا بين ابنته فحلة وبين ابنه خمارويه(270- 282هـ/883-895م) بن أحمد بن طولون[206].

---

[202] إحسان عباس: العرب في صقلية – دراسة في التاريخ والأدب: دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، 1975م، ص69.

[203] إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر أبو إسحاق: الكاتب الأديب الفاضل، الشاعر الجواد المترسل، صاحب النظم الرائق والنثر الفائق، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ كُتَّابِ التَّرَسُّلِ يُقَارِبُهُ فِي فَنِّهِ وَتَوَسُّعِهِ، تولى الولايات الجليلة، وَكَانَ وَافِرَ الحِشْمَةِ، كَثِيْرَ البَذْلِ، ثم وزر للمعتمد على الله لما خرج من سرّ من رأى يريد مصر، ومات وهو يتقلد للمعتضد ديوان الضياع ببغداد. وأصلهم من دستميسان، وكان يدّعي أنه من ضبّة. وأخوه أحمد من جلة الكتاب، وأفاضلهم وكرامهم، وحسدته الكتاب على منزلته من السلطان فأغروه به حتى أخرجه إلى دمشق متوليا عليها وناظرا في تحصيل أموالها. الطبري: تاريخ الرسل والملوك:31/10، ياقوت الحموي: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: تحقيق: إحسان عباس، سبعة أجزاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ/1993م، 102/1، ابن الأثير: الكامل في التاريخ: 295/6، ترجمة رقم 29، الذهبي: سير أعلام النبلاء، 124/13- 126، ترجمة رقم 63، الزركلي: خير الدين الزركلي: الأعلام- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، مايو 2002م، 60/1-61.

[204] ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك الأمم: 213/12، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: 47/16، الذهبي: تاريخ الإسلام: 25/20، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:387/4، المقريزي: المقفى الكبير: 514/1، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: 43/3، بامخرمة: أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهجراني الحضرمي الشافعي (947هـ/1540م): قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، عُني به: بو جمعة مكري، خالد زواري، ستة أجزاء، دار المنهاج – جدة، الطبعة الأولى، 1428هـ/2008م، 610/2.

[205] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:387/4،

[206] البلوي: سيرة ابن طولون: ص 60، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: 387/4.

وهنا تحول هذا الرباط المقدس إلى صفقة، إذ غلب على بعض المصاهرات السياسية أن تتحول إلى مقايضة[207]، بمبادلة سلعة بسلعة، حين تُمنح الابنة أو الأخت مقابل هدنة أو هدية أو إقطاع أو شرعية، أو رفع عقوبة أو تأجيلها.

وربما خلص أحد الباحثين[208] العرب إلى أن مقاربة ابن خلدون للأحداث التاريخية مقاربة اقتصادية تجعل العامل الاقتصادي فاعلا في الحراك التاريخي، وهذا الأمر قد يكون موضع اتفاق بين جل المؤرخين وعلماء الاجتماع المعاصرين، بدءًا من ماركس(1818–1883م) ومرورا بديورانت(**1885–1981م**) ووصولا إلى مدرسة الحوليات، ومع ذلك لم يظهر تجليات الاحتفاء بهذا العامل الحيوي المهم– حتى بعد أن جمع لابن طولون الخراج– في تاريخ ابن خلدون وهو ينقل أخبار الدولة الطولونية.

ولم يكتف ابن طولون بخراج مصر بل وثب في سنة267هـ/880م بأحمد بن المدبر، وكان يتولى خراج دمشق، والأردن، وفلسطين، فحبسه وأخذ أمواله، وصالحه على ستمائة ألف دينار[209]، وقد عبَّر أحمد بن المدبر عن استيائه من الحالة المزرية التي كانت عليها سجون ابن طولون، فقال: حبست في حبس ضيق لابن طولون، وفيه خلق وبعضنا على بعض، فحبس معنا أعرابي فلم يجد مكانا يقعد فيه، فقال: يا قوم، لقد خفت من كل شيء إلا أني ما خفت قط ألا يكون لي موضع في الأرض في الحبس أقعد فيه، ولا خطر ذلك ببال، فاستعيذوا بالله من حالنا[210].

ولما زالت هيبة ابن المدبر بأخذ ابن طولون جنده ونقص صلاحياته خافه وكتب إلى الخلافة يغري به، فحبسه ابن طولون في أضيق محبس[211]، أو مجلس[212]، "حتى عمي ومات"[213]، وذكرت بعض المصادر[214] أن أحمد ابن طولون قتله في

---

[207] ينظر: Redfield, R. And Rojas, A.V, Chan Kom. A Maya Village( The University Of Chicago Press, Second Impression, 1964), p.p. 59–61.

[208] ينظر: رشيد الحاج صالح: دور العرب في عقلنة العلوم: ص153.

[209] ابن الجوزي: المنتظم: 213/12، الذهبي: تاريخ الإسلام: 25/20، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: 43/3، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: 47/16، بامخرمة: قلادة النحر: 610/2.

[210] ابن شاكر الكتبي: صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبي الداراني الدمشقي (ت764هـ/1363م): فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، أربعة أجزاء، دار صادر، بيروت، 1973-1974م، 133/1.

[211] ابن عساكر: تاريخ دمشق: 394/5.

[212] ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق: 269/3.

[213] البلوي: سيرة ابن طولون: ص178.

سنة270هـ/884م، ومات تحت العذاب، وقيل: سنة 271هـ/884م[215]، وكان فاضلًا يصلح للقضاء، وللبحتري(ت 284هـ/898م) فيه مدائح[216].

## المطلب الثالث: عصيان العباس وأسره ومعاقبة أصحابه:

لمع نجم العباس بن أحمد بن طولون(ت270هـ/884م) وانطفأ في خمس سنوات فقط، منذ تزيين بطانته له خروجه عن أبيه سنة 265هـ/879م وسيره إلى إفريقية وحروبه مع الأغالبة، وشعره الذي قاله بعد مقتل صناديد جيشه، ووساطة القاضي بكار(ت270هـ/884م) بينه وبين أبيه، واقتياده أسيرا إلى مصر ومعاقبة أصحابه سنة 268هـ/881م، ثم مقتله في محبسه بأمر من أخيه خمارويه(270- 282هـ/883-895م) بعد رفض مبايعته سنة 270هـ/884م. وتفصيل ذلك الخروج في النحو الآتي:

شاع بمصر أن العباس- بعد تمرده وخروجه عن أبيه- قد انهزم ورجع إلى برقة هاربًا[217]، فاغتمّ أبوه لذلك غمّا شديدا[218]، فخرج طبارجي(ت 273هـ/886م) وأحمد الواسطي(ت272هـ/885م) سنة 267هـ/881م، على جيش سيّره ابن طولون إلى برقة، فواقعوا أصحاب العباس وهزموهم، وقتلوا منهم كثيرا[219]، في يوم الإثنين لتسع بقينَ من

---

[214] ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات: 132/1، الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764هـ/1363م): الوافي بالوفيات: تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، 29 جزءا، دار إحياء التراث- بيروت،1420هـ/2000م، 27/8، المقريزي: المقفى الكبير: 514/1. لم يقتله ابن طولون، لكنه مات في محبسه.

[215] ابن عساكر: تاريخ دمشق: 394/5، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق: 269/3.

[216] الشريف المرتضى: الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت436هـ/1044م):أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد): تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، الطبعة الأولى، 1373هـ/1954م، ص569، ابن الأثير: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح (ت 637هـ/1239م): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، أربعة أجزاء، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، (د. ت)، 248/3، ابن الأبار: محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت 658هـ/1260م): إعتاب الكتاب: حققه وعلق عليه وقدم له: صالح الأشتر: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الأولى، 1380هـ/1961م، ص159.

[217] الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة: ص 166، البلوي: سيرة ابن طولون: ص255، ابن عساكر: تاريخ دمشق:26/238-239، ترجمة رقم 3081، الذهبي: تاريخ الإسلام: 16/20-17، المقريزي: المواعظ والاعتبار:2/131.

[218] البلوي: سيرة ابن طولون: ص255- 256، النويري: النويري: نهاية الأرب: 15/28.

[219] الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة: ص 167-168، البلوي: سيرة ابن طولون: ص265، النويري: النويري: نهاية الأرب: 16/28، المقريزي: المواعظ والاعتبار:2/131-132.

جمادى الآخِرة سنة 268هـ/882م[220]، فهرب أصحابه، وقبض على العباس بنواحي الإسكندرية لأربع خلون من رجب، وأُدخِل إلى الفسطاط لثلاث عشرة خلت منه، وقدم العباس والأسرى في شوّال[221] مقيّدًا على بغل [222]، وقبض على كاتبه أبي الضحاك محبوب بن رجاء(ت بعد 271هـ/885م) وحبس؛ لأنه كان يطلع العبّاس على كتب أبيه[223]، فضرب أحمد ابنه وهو باك عليه وحبسه[224]؛ حيث ضربه مائة مقرعة، ودموع أحمد تجرى على خدّه رقّة على ولده، ثم ردّه إلى الحجرة واعتقله في سنة 268هـ/882م[225]، وكان يقول للضارب: جوّد الضرب! وعيناه تذرفان وهو يمسحها بمنديل؛ وكان أحبّ ولده إليه[226]، وسجنه في حجرة في الدّار إلى أن قدم العسكر ببقيّة الأسرى من أصحابه[227]، ثم خرج أحمد بن طولون في صفر سنة 269هـ/882م، وأخرج معه العباس مقيدًا فسار أحمد حتى نزل دمشق[228].

وهنا أيضا تلوح بنية الانتقام على سطح غريزة الغضب نتيجة لها أظهر وأقوى من عاطفة الأبوة؛ حتى لم يمنعه بكاؤه على ابنه العباس من الأمر بإيقاف معاقبته وتعذيبه، بل كان يأمر الضارب بتجويد الضرب.

ولما أخرج أصحاب العباس أوّل ذي القعدة269هـ/883م، رأى القاضي بكّار(ت270هـ/883م) أن لا أمان لهم. فبنيت لهم دكّة رفيعة السمك عظيمة عالية [229]، وجلس أحمد بن طولون في علوّ يوازيها وشرّع من ذلك العلوّ إليها طريقا[230]،

---

[220] الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة: ص 167–168.

[221] الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة: ص 167–168، المقريزي: المواعظ والاعتبار:2/131–132.

[222] الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة: ص 167، البلوي: سيرة ابن طولون: ص268، ابن عساكر: تاريخ دمشق: 26/239، ياقوت الحموي: معجم الأدباء: 2/790، ترجمة 285، الصفدي: الوافي بالوفيات: 11/108–109، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:4/391.

[223] البلوي: سيرة ابن طولون: ص318، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: 4/391.

[224] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: 4/391، الزركلي: الأعلام: 3/258–259.

[225] البلوي: سيرة ابن طولون: ص271، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب: 28/16.

[226] ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر( الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية): 5/270.

[227] النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب: 28/15.

[228] الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة: ص 167، ابن عساكر: تاريخ دمشق:26/239.

[229] الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة: ص 167–168، البلوي: سيرة ابن طولون: ص269، ياقوت الحموي: معجم الأدباء:2/790، ترجمة 285، الصفدي: الوافي بالوفيات:11/108–109، المقريزي: المقفى الكبير: 5/376، ترجمة رقم 2322، المواعظ والاعتبار:2/131–132.

فضربوا وألقوا من أعلاها[231]. وكانوا لمَّا قدموا أحضرهم أحمد عنده، وكان العبّاس بن أحمد قائما بين يديه، وبيده سيف مشهور[232]، وأمره أن يقطع أيدى أعيانهم وأرجلهم، ففعل ذلك[233]، وأمر أحمد بْن طُولُون بابن حَدار (ت268هـ/882م)، وزير العباس وصاحب أمره[234]، فضُرب ثلاثمائة سوط، ثمَّ تقدَّم إِلَيْهِ الْعَبَّاس وهو يستحيي منه[235]، فقطع يديه ورِجليه، وأُلقي من الدِّكَّة على الأرض[236]. وفعل مثل هذا بالمنتوف وأبي معشر (أحمد بْن المؤَمَّل)، واقتصر بغيرهم على ضرب السوط، فلم يمض بالمضروبين أيّام حتّى ماتوا يوم الأربعاء لثمان بقين من شوّال سنة 268هـ/882م[237].

---

[230] البلوي: سيرة ابن طولون: ص269، ياقوت الحموي: معجم الأدباء:790/2، ترجمة 285، الصفدي: الوافي بالوفيات:108/11-109، المقريزي: المقفى الكبير: 376/5، ترجمة رقم 2322، المواعظ والاعتبار:131/2-132.

[231] الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة: ص 167-168، البلوي: سيرة ابن طولون: ص269، المقريزي: المواعظ والاعتبار:131/2-132، ياقوت: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (790/2، ترجمة 285، الصفدي: الوافي بالوفيات:108/11-109،

[232] البلوي: سيرة ابن طولون: ص269، ياقوت الحموي: معجم الأدباء:790/2، ترجمة 285، الصفدي: الوافي بالوفيات:108/11-109، المقريزي: المقفى الكبير: 376/5، ترجمة رقم 2322، المواعظ والاعتبار:131/2-132.

[233] البلوي: سيرة ابن طولون: ص269، ياقوت الحموي: معجم الأدباء:790/2، ترجمة 285، النويري: النويري: نهاية الأرب: 15/28، الصفدي: الوافي بالوفيات:108/11-109، المقريزي: المقفى الكبير: 376/5، ترجمة رقم 2322، المواعظ والاعتبار:131/2-132.

[234] البلوي: سيرة ابن طولون: ص269، ياقوت الحموي: معجم الأدباء:790/2، ترجمة 285، النويري: النويري: نهاية الأرب: 15/28، الصفدي: الوافي بالوفيات:108/11-109. جعفر بن محمد بن أحمد بن حدار الكاتب: أبو القاسم: لم يكن بمصر مثله في وقته، كثير الشعر حسن البلاغة عالم له ديوان شعر ومكاتبات كثيرة حسنة. ياقوت: معجم الأدباء: 790/2، ترجمة 285، الوافي بالوفيات: 108/11-109.

[235] البلوي: سيرة ابن طولون: ص269، المقريزي: المقفى الكبير: 376/5، ترجمة رقم 2322.

[236] الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة: ص 167-168، البلوي: سيرة ابن طولون: ص269، ياقوت الحموي: معجم الأدباء: 790/2، ترجمة 285، الصفدي: الوافي بالوفيات:108/11-109، المقريزي: المقفى الكبير: 376/5، ترجمة رقم 2322.

[237] الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة: ص 165، البلوي: سيرة ابن طولون: ص269، المقريزي: المقفى الكبير: 376/5، ترجمة رقم 2322. ومن بين أصحاب العباس وبطانته محمّد بن سهل المنتوف(ت 268هـ/882م) كان من أهل العلم بالعربيّة واللغة. وصحب العبّاس بن أحمد بن طولون، وخرج معه إلى برقة لمّا خالف على أبيه، هو وجعفر بن حدّاد، وأبو جعفر أحمد بن المؤمّل. وصاروا بطانته وأصحاب الرأي في أمره. ولم يكن عندهم علم بسياسة جيش ولا تدبير أمر. فحسّنوا له الخروج عن مصر إلى أن كان من أمره ما كان فأخذوا بأمان، وقدم بهم

فلمّا فرغ منهم وبّخه أبوه وذنّبه. وقال له: " هكذا يكون الرّئيس والمقدّم! كان الأحسن أنّك ألقيت نفسك بين يدىّ، وسألت الصّفح عنك وعنهم، فكان ذلك أعلى لمحلّك. وكنت قضيت حقوقهم"[238]. وثمة رواية بتمثيل أحمد بن طولون بابن حدار لما قتله، إذ يُروى أنه تولّى قطع يديه ورجليه بيده[239]. ولا تبدو الرواية غريبة عن سلوك ابن طولون في معاقبة المسيئين إليه؛ ولم يكن القتل وحده متنفسا في تشفيه ممن زيَّن لابنه التمرد عليه، فقتله ومثَّل به جزاء لجريمتين: أولاهما: تمرد الكاتب على مولاه، والأخرى: تزيين العصيان للعباس ليتمرد على أبيه.

**تعقيب:**

ما عابه ابن طولون على ابنه وعيَّرَهُ به سيقع فيه مع أحد الذين أحسنوا إليه، ورسخوا قدمه في مصر. وعلى الرغم من شجاعة العباس بن أحمد بن طولون وشاعريته الفذة، فإنه يعد أحمق ولاة العهد؛ إذ عصى أباه بعدما استخلفه وليا لعهده، وكان أكبر أولاده وأحبهم إليه، وأكثرهم حظوة عنده وتمكنا من قلبه، لكنه تعجل الانفراد بالسلطة بعد تزيين بطانته له الخروج والعصيان، وطمع في المُلك –الذي كان من المنطقي أن يؤول إليه– قبل أوانه فعوقب بحرمانه، وخلع من ولاية العهد، وعاقب أصحابه بيده أمام أبيه، فعيَّره أبوه بغدره وعدم وفائه حتى لشيعته، وعدم التماس العفو عنهم، وأن من كانت هذه سجاياه لا يستحق الرياسة، وآل أمره إلى الامتناع[240] عن بيعة خمارويه(270– 282هـ/883–895م)، فأمر بقتله في محبسه سنة 270هـ/884م.

## المطلب الرابع: خفوت نجم الوزير ابن مَخْلَد:

أبو محمد الحسن بن مخلد بن الجراح**(209– 269هـ/824– 882م)** بغداديّ الأصل، وزير، من الكتاب، وله علم بالأدب، وكان – مع ظلمه[241]– شاعرًا جوادًا

---

أصحاب ابن طولون في الأسر. ينظر: الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة: ص165، المقريزي: المقفى الكبير: 375/5–376، ترجمة رقم 2322.

[238]النويري: النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب: 15/28–16، وينظر: البلوي: سيرة ابن طولون: ص271.

[239] البلوي: سيرة ابن طولون: ص269، ياقوت الحموي: معجم الأدباء: 790/2، ترجمة 285، الصفدي: الوافي بالوفيات:108/11–109.

[240] الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة: ص 173، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:396/4، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة:49/3.

[241] الذهبي: سير أعلام النبلاء: 8/13.

ممدَّحًا، مدحه البحتريُّ(206- 284هـ/821-898م)، وغيره[242]، ضم مع الوِزَارَةِ الكِتَابَة للمُوَفَّقِ، وَكَانَ آيَةً فِي حِسَابِ الدِّيْوَانِ، حَتَّى قِيْلَ: مَا لاَ يَعْرِفُهُ ابْنُ مَخْلَدٍ، فَلَيْسَ مِنَ الدُّنْيَا[243].

وكان يقال: أهيب الكتّاب مجلسًا وخطابًا اثنان: الأول: عمر بن الفرج الرُّخَجيّ[244] (ت236هـ/851م)، أما الثاني: فهو الحسن بن مخلد؛ لعلمه بأمور الدنيا[245]. وَكَانَ مَهِيْبًا، فَاخِرَ البِزَّةِ، يُرْكِبُ غِلْمَانَهُ فِي الدِّيْبَاجِ، وَنَسِيْجِ الذَّهَبِ، وَعِدَّة جنَائِبَ. وكَانَ فِي هَيْئَةِ سُلْطَانٍ كَبِيْرٍ[246].

وكان يتولى ديوان الضياع للمتوكل(232-247هـ/847-862م) [247]، واستوزره المعتمد(256هـ/279هـ/870-891م) سنة 263هـ/877م، ثم عزله، وأعاده سنة

---

[242] سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: 66/16، الذهبي: سير أعلام النبلاء:8/13.

[243] الذهبي: سير أعلام النبلاء: 8/13.

[244] عُمَرَ بْن فرج الرُّخَّجيّ الكاتب، كان من علية الكُتّاب، ويصلح للوزارة، وكان يتولى الدواوين للمأمون(198-218هـ/813-833م) والمعتصم(218-227هـ/833-842م) والواثق(227-232هـ/842-847م)، ثم المتوكل(232-247هـ/847-862م) الذي سخط عَلَيْهِ، فأخذ منه ما قيمته مائة وعشرون ألف دينار. ثُمَّ صالحه، ثُمَّ غضب عَلَيْهِ، وصُفِعَ ستّة آلاف صفعة فِي أيام، وأُلْبِسَ عباءة. ثُمَّ رضي عَنْهُ، ثُمَّ سَخطَ عَلَيْهِ ونفاهُ، ومات سنة236هـ/851م ببغداد.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك:156/9، الرازي: أحمد بن سهل الرازي (ت نحو 325هـ/937م): أخبار فخ وخبر يحيي بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله: تحقيق: ماهر جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1995م، ص 368، مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم: 288/4، الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت 463هـ/1072م): تاريخ بغداد وذيوله: تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، 24 جزءا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م، 111/1، ابن حيان: بن حيان القرطبي، حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي بالولاء، أبو مروان (ت 469هـ/1076م): المقتبس من أنباء الأندلس: تحقيق: محمود علي مكي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة، 1390هـ/1970م، ص 227، الذهبي: تاريخ الإسلام: 284/17، ترجمة رقم 298، سير أعلام النبلاء: 8/13.

[245] المقريزي: المقفى الكبير: 258/3.

[246] الذهبي: سير أعلام النبلاء: 8/13.

[247] ابن عساكر: تاريخ دمشق: 390/13، ترجمة رقم 1460، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: 66/16، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: 45/3، الزركلي: الأعلام: 223/2، دائرة المعارف الإسلامية: نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي، وأحمد الشنتناوي، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس. طبع منها أحد عشر مجلدا، في مصر، 1933-1957م، 274/1.

264هـ/878م، ثم عزله سنة 265هـ/878م[248]، ومازال على غير استقرار حتى طلبه أحمد بن طولون إلى مصر، فحمل إليه[249] مكرَّمًا أواخر سنة 265هـ/879م[250].

وسبب رغبة ابن طولون في استقدام ابن مخلد إلى مصر اعتراف الأمير بفضل الوزير عليه، فلما استفحل أمر أحمد واستكثر من الجند، وخافه بالشام ماجور(ت 264هـ/878م)؛ فكتب إلى الموفّق يغريه بشأنه وأنه يخشى على الشام منه[251].

فكتب الموفّق طلحة(229-278هـ/843-891م) إلى ابن طولون بالشخوص إلى العراق لتدبير أمر السلطان، وأن يستخلف على مصر، فشعر ابن طولون بالمكيدة في ذلك، فبعث كاتبه أحمد بن محمد الواسطي(ت272هـ/885م) إلى يارجوخ(ت259هـ/873م) وإلى الوزير الحسن بن مخلد (209- 269هـ/824- 882م)، وحمل إليهما الأموال والهدايا[252].

فلمَّا قدم عليه رأى منه ما لم يره من غيره من الفَهم والدِّراية بأمر الدُّنيا، فحظي عنده، وقال له: انظر في أعمالي، فنظر فيها، وضمن له زيادةَ ألف ألف دينار في كلِّ سنة؛ مع العدل في الرَّعيَّة[253]، فيكون أفشى والناس أرضى[254]؛ فخافه الكتاب والعُمَّالُ، وَتَفَرَّغُوا لَهُ، فوشَوْا به إلى ابن طولون، وقالوا: هذا عينُ الموفَّق عليك، فحبسه، فقالوا: لا ينبغي أن

---

[248] ابن عساكر: تاريخ دمشق: 390/13، ترجمة رقم 1460، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: 66/16، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: 45/3، الزركلي: الأعلام: 223/2، دائرة المعارف الإسلامية: 274/1. قال ابن عساكر: " وَزَرَ الحَسَنُ لِلْمُعْتَمِدِ نَوْبَتَيْنِ فَصَادَرَهُ، ثُمَّ وَزَرَ لَهُ ثَالِثًا، فَاسْتَمَرَّ خَمْسَةَ أَعْوَامٍ، فَسَخِطَ عَلَيْهِ". تاريخ دمشق: 390/13، ترجمة رقم 1460.

[249] ابن عساكر: تاريخ دمشق: 392/13،390، ترجمة رقم 1460، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: 66/16، الذهبي: سير أعلام النبلاء: 8/13، المقريزي: المقفى الكبير: 256/3، الزركلي: الأعلام: 223/2، دائرة المعارف الإسلامية 1: 274. وكان سبب لحاقه بأحمد بن طولون ما أسلف إليه أحمد في وزارته. وذلك أنّ أحوال أحمد بن طولون لمّا اتّسعت وعظم صيته، كتب فيه ماجور التركيّ من دمشق وهو يتقلّدها من قبل المعتمد على الله: " أمّا بعد، فإنّه قد اجتمع لأحمد بن طولون أكثر ممّا كان تجمّع لأحمد بن عيسى بن شيخ، والخوف منه أكثر، إذ كان فيه من الفضل ما ليس في أحمد بن شيخ"، فنصره عند الخليفة، ومكنه وصرف عنه أذى حكومة بغداد. ينظر: البلوي: سيرة أحمد بن طولون: ص56، المقريزي: المقفى الكبير: 255/3-256.

[250] الصفدي: الوافي بالوفيات:167/12، المقريزي: المقفى الكبير: 255/3.

[251] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:387/4.

[252] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:387/4، المقريزي: المقفى الكبير: 515/1، 256/3.

[253] ابن عساكر: تاريخ دمشق: 390/13، ترجمة رقم 1460، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: 66/16، الذهبي: سير أعلام النبلاء: 8/13، المقريزي: المقفى الكبير: 256/3.

[254] المقريزي: المقفى الكبير: 256/3.

يكون في جِوارك محبوسًا؛ فربَّما حَدَث به حادث فيُنسب إليك، فبعث به إلى عامله بأنطاكية، وأمره أن يعذِّبه، فعذَّبه في هذه السَّنة[255]، دون أن يتحقق من الأمر؛ لأخذه بالشبهة، حتى لم يشفع للوزير ما تقدم " فَتَلِفَ تَحْتَ العَذَابِ"[256].

إذ حبسه ابن طولون بأنطاكيّة فمات فيها[257] سنة 269هـ/883م [258]، يوم الأحد لخمس خلون من شعبان[259] وقيل: إن الْمُوفق كره ابْن مخلد فَحمل الْجند على الْإِيقَاع بِهِ فقبضوا عَلَيْهِ، وَحمل إِلَى الأنبار، ثمَّ إِلَى مصر إِلَى ابْن طولون فأظهر إكرامه، ثمَّ إنَّه اتهمه بمكاتبة الْمُوفق فحبسه، وَلم يزل مَحْبُوسًا إِلَى أَن مَاتَ مُثقلًا بالحديد فِي شَرّ حالٍ سنة 267هـ[260]، وقيل: مَاتَ سنة 269هـ، وقيل سنة 271هـ/[261].

**تعقيب:**

الحق أن السؤال الذي يطرح نفسه هنا استنكارا وتوبيخا: **لماذا تنكر ابن طولون للوزير الحسن بن مخلد الذي أحسن إليه، ورد وشايات ماجور وابن المدبر وشقير الخادم عنه، وكذبها أمام الخليفة، وسعى له عنده، حتى بسط سلطانه بمصر، ومد نفوذه، ومكَّن لأولاده بها؟**

إنه تصرف غريب يستدعي قول الله تعالى: { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ}[262]، **أما كان أحرى بابن طولون ألَّا يسمع لكتَّابه الذين خوفوه منه ووشوا به عنده حتى حبسه في مصر، ثم أرسله إلى عامله بأنطاكية، وأمره أن يعذبه، حتى مات في محبسه ذليلا غريبا لا يستطيع المؤرخون تحديد سنة وفاته على نحو دقيق، كأنه لم يكن وزيرا ولا كاتبا ولا رجل دولة؟**

---

[255] سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: 66/16، الذهبي: سير أعلام النبلاء: 8/13، المقريزي: المقفى الكبير: 256/3.

[256] الذهبي: سير أعلام النبلاء: 8/13، وينظر: المقريزي: المقفى الكبير: 256/3.

[257] ابن عساكر: تاريخ دمشق: 392/13، الذهبي: سير أعلام النبلاء: 8/13، المقريزي: المقفى الكبير: 256/3، الزركلي: الأعلام: 223/2، دائرة المعارف الإسلامية 1: 274.

[258] ابن عساكر: تاريخ دمشق: 392/13، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: 45/3.

[259] ابن عساكر: تاريخ دمشق: 392/13، الذهبي: سير أعلام النبلاء: 8/13، المقريزي: المقفى الكبير:256/3.

[260] الصفدي: الوافي بالوفيات:167/12.

[261] الذهبي: سير أعلام النبلاء: 8/13.

[262] سورة الرحمن: الآية 60.

وأميل إلى أن ذلك الغدر لا يمكن عزوه إلا لشهوة الملك وحب العرش والخوف على السلطة، وحظوظ النفس التي تأخذ بالظن والوساوس لأدنى شبهة، حتى لو تباسط ابن مخلد وهو ينادم ابن طولون في مجالس الشعر والغناء والشراب.

ولا أدري **هل الغدر وسجن النديم أو الوكيل وتعذيبه حتى الموت من صفات الملك والرياسة والتقديم التي عيَّر بها ابن طولون ابنه العباس لافتقاده إليها، حين عذَّب بيده بأمر أبيه شيعته الذين زيَّنوا له التمرد وعصيان أبيه والخروج عنه إلى إفريقية، بدلًا عن محاولة الوساطة إليهم والتشفع فيهم وتحمل المسؤولية الكبرى والتماس بعض الأعذار لهم بجاه ولي العهد؟**

وهنا يحضرني قول أبي الأسود الدؤلي[263] (من الكامل):

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيَهُ فالقوم أعداءٌ له وخصومُ

ومنها:

وإذا عتبت على السّفيه ولمته في مثل ما تأتي فأنت ظلوم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك، إذا فعلت، عظيم

---

[263] ينظر: ابن قتيبة الدِّينَوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ/889م): عيون الأخبار، أربعة أجزاء، دار الكتب العلمية –بيروت، 1418هـ/1998م،24/2، ابن عبد ربه: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت 328هـ/940م) العقد الفريد: ثمانية أجزاء، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ/1983م، 184/2، الخوارزمي: أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي(ت 383هـ/993م): الأمثال المولدة: المجمع الثقافي، أبو ظبي،1424هـ/2003م، ص 411، العسكري: جمهرة الأمثال: جزآن، دار الفكر، بيروت، 38/2، 411/2–412، أبو حيان التوحيدي: مثالب الوزيرين = أخلاق الصاحب بن عباد وابن العميد، حققه وعلق عليه: محمد بن تاويت الطنجي، دار صادر – بيروت، بإذن: المجمع العلمي العربي بدمشق، 1412هـ/1992م، ص 251، الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ/1143م): المستقصي في أمثال العرب، جزآن، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، 1987م، 260/2، ابن حمدون: التذكرة الحمدونية: 85/7، ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (ت 656هـ/1258م): الفلك الدائر على المثل السائر: تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، 169/4، المستعصمي: محمد بن أيدمر المستعصمي (710هـ/1310م): الدر الفريد وبيت القصيد، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ثلاثة عشر جزءًا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1436هـ/2015م،195/11، السيوطي: شرح شواهد المغني: وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان، جزآن، تعليقات: الشيخ محمد محمود ابن التلاميد التركزي الشنقيطي، لجنة التراث العربي، دون طبعة، 1386هـ/1966م، 570/2– 571، عبد العزيز عتيق(ت 1396هـ/1976م): علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م، ص 87.

لذا؛ كان على المرء" أن يعذر غيره بعيب هو فيه، وإن لم يعلم من نفسه مثل ذلك العيب فالجهل بعيب نفسه أعظم وأشد"[264]، والحق أن ابن طولون في سنوات حكمه الأخيرة لم يكن يغلِّب عقله في قهر انفعالاته؛ حيث تثار مشكلة السلبية والإيجابية في كل مذهب أخلاقي يدعو إلى قهر الانفعالات بواسطة العقل، بدلا عن استغلال الطاقة في التغلب على العوامل الخارجية التي أدت إلى هذه الانفعالات[265]، وكانت جميع خصال ابن طولون محمودة، غير أنه كان حادّ الخلق والمزاج؛ فإنه لما ولى مصر والشام ظلم كثيرا وعسف وسفك كثيرا من الدماء، فكان أول العلاج عنده الكي؛ لذا أسرف في المصادرات والسجن والتعذيب والقتل. وأحصي من قتله صبرا[266] أو مات في حبسه فكانوا ثمانية عشر ألفًا[267].

**وينبغي بعد ذلك العرض أن نتساءل: هل كان ابن طولون سَادِيًّا؟**

تشير كلمة السادية sadism إلى الميل للحصول على اللذة من إيقاع الألم بالآخرين[268]، ولا أظن أن ابن طولون كان ساديا بالمعنى الكامل ولا بريئا من بعض مظاهرها، خاصة عند ثوران غضبه؛ لأنه لم يكن يعاقب إلا المسيئين ببينة أو بشبهة، وكان ينال لذته أيضا من مكافأة المحسنين إليه، حتى يزهد في الجواري الحسناوات موزعا أجملهن على غلمانه مُؤْثِرًا على نفسه[269].

ولا يمكن في نظري تفسير ما قام به من قتل وسفك للدماء وتعذيب لبعض المقربين منه، وفيهم أمراء وقضاة ورجال دولة وأطباء، على الرغم من تقواه وحسن نشأته الدينية والعسكرية– وهو ما يعكس تناقضا واضحا في شخصيته وسلوكه– إلا بسبب تلك النزعة الانتقامية التي أشعلتها داخله رغبته في المبالغة في عقوبة المسيئين له، بإلغاء وجوده، أو محاولة تحريك حكومة بغداد ضده والسعاية للحد من نفوذه والوقوف في طريق طموحه

---

[264] الخوارزمي: مفيد العلوم ومبيد الهموم، دمشق، 1323هـ/1906م، ص 227.

[265] فؤاد زكريا: إسبينوزا: ص223.

[266] الذهبي: سير أعلام النبلاء: 95/13، المقريزي: المقفى الكبير:258/1.

[267] سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان:79/16، ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب: 829/2، ابن خلكان: وفيات الأعيان:173/1، الذهبي: سير أعلام النبلاء: 95/13، الصفدي: الوافي بالوفيات: 266/6، المقريزي: المقفى الكبير:258/1، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة:13/3، بامخرمة: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر: 591/2.

[268] حسن مصطفى عبد المعطي، هدى محمد قناوي: علم نفس النمو: جزآن، دار قباء للطباعة والنشر، والتوزيع: 260/1.

[269] ينظر: البلوي: سيرة أحمد بن طولون: ص110–111.

حجر عثرة؛ لكي لا يستقل بمصر، أو عدم الامتثال لأوامره، أو الخروج عليه وتزيين الأمر لعصيانه.

ولو فكر ابن طولون قليلا لأدرك وهو رجل حُكم وحِكمة وسياسة أن الطريق انقطعت بين وكيله الوزير الحسن بن مخلد في مصر والموفق في بغداد بعد عزل الوزير وحبسه وإهانته ومصادرة أمواله ونهب العوام داره وإخراجه من وجه، وأن كتَّابه نقموا عليه عقله وذكاءه وشدَّة دهائه وعمق معرفته واطلاعه بأمور الدولة وأحوال الرعية، فخافوا على مكانتهم وانقطاع مصالحهم وإغلاق أبواب مفاسدهم لوعيه ودرايته وقربه من ابن طولون من آخر، فكيف رضي لنفسه– بعد نشأته الدينية العسكرية وتجمله بالزهد والورع والتقوى– أن يسقط في بئر غدر الحكام– بعد أن أشخص ابن مخلد إليه وأمَّنَه– بحيلة الفسدة من رجاله؟!

## المطلب الخامس: محاولة فك لغز وفاة ابن طولون:

كان بدوُّ مرض أحمد بأنطاكية لمَّا عاد عن طَرَسوس؛ " أَكَلَ لَبَنَ الْجَوَامِيسِ، فَأَكْثَرَ مِنْـهُ، فَأَصَـابَهُ مِنْـهُ هَيْضَـةٌ[270]، وربمـا كانـت " مُعـاوَدَةُ الهَـمِّ والحُـزْنِ، والمَرْضَـةُ بعـدَ

---

[270] الهيضة: في الإنجليزية: Diarrhoea، Cholera، وفي الفرنسية: Diarrhee، Cholera، وعند الأطباء حركة من المواد الفاسدة غير المنهضمة تؤدي إلى القيء والإسهال، فَإن الأغذية إذا لم تنهضم جدا استحالت إِلَى أخلاط غير مُوَافقَة للبدن، وتحرّكت الطبيعة إِلَى دَفعهَا إذا ثقلت عَلَيْهَا بأصناف من الْقَيْء، وأصناف من الإسهال. وَمَا كَانَ من الهيضة سَببه من فَسَاد طَعَام وَاحِد فَهُوَ أسلم مَا يكون بِسَبَب تَوَاتر فَسَاد بعد فَسَاد. وهي انطلاق البطن. والمستهاض المريض يبرأ فيعمل عملا يشق عليه، فينكس أو يشرب شرابا، أو يأكل طعاما فينكس منه، والهيْضَة أن يتَعَنَّاه المرضُ بعْد البُرءِ. ويقال للرجل إذا لَانَ بَطْنُهُ وكَثُرَ اخْتِلَافُهُ: أَخَذَتْهُ خِلْفَةٌ وَهَيْضَةٌ، وتشبه ما يعرف بالكوليرا في العصر الحاضر، ومن أعراض ذلك المرض القيء الشَّديد والإسهال والهزال. ينظر في مادة (هيض): الشيباني: أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني بالولاء (ت 206هـ/821م): الجيم: حققه: إبراهيم الأبياري، راجعه: محمد خلف أحمد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1394هـ/1974م، 322/3، ابن السكيت: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت 244هـ/858م): كتاب الألفاظ: تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، 1998م، ص86، ابن قتيبة الدِّينَوري: الجراثيم، حققه: محمد جاسم الحميدي، جزآن، قدم له: مسعود بوبو، وزارة الثقافة، دمشق(د.ت)، 243/1، كراع النمل: أبو الحسن علي بن الحسن الهُنائي الأزدي (ت بعد 309هـ/921م): المنتخب من غريب كلام العرب، تحقيق: محمد بن أحمد العمري، جزآن في ترقيم مسلسل واحد، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، 1409هـ/1989م، ص 62، الرازي: أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (ت 313هـ/925م): الحاوي في الطب: تحقيق: هيثم خليفة طعيمي، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ/2002م، 245/2، الحميري: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت 573هـ/1177م): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، يوسف محمد عبد الله، أحد عشر مجلدا (في ترقيم مسلسل واحد)، ومجلد للفهارس، دار

المرْضَـةِ"[271] دافعها الأول، وَاتَّصَلَتْ حَتَّى صَارَ مِنْهَا ذَرَبٌ، وَكَانَ الْأَطِبَّاءُ يُعَالِجُونَهُ، وَهُوَ يَأْكُلُ سِرًّا(غير ما يصفونه) [272]، فَلَمْ يَنْجَعِ الدَّوَاءُ" [273]، وحميت كبده من سوء الفكر فساءت أفعاله[274].

---

الفكر المعاصر (بيروت)، دار الفكر (دمشق)، الطبعة الأولى، 1420هـ/1999م، 7012/10، التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 1747/2، أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة: أربعة أجزاء (3 ومجلد للفهارس) في ترقيم مسلسل واحد، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م،2384/3، دوزي: رينهارت بيتر آن دُوزِي(ت1300هـ/1883م): تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، جمال الخياط، أحد عشر جزءا، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى، من 1979-2000م، 32/11.

[271] الخليل بن أحمد الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي(ت170هـ/786م): كتاب العين: تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ثمانية أجزاء، دار الهلال، بغداد، 1985م، 69/4، أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (ت 356هـ/967م): البارع في اللغة، تحقيق: هشام الطعان، مكتبة النهضة، بغداد – دار الحضارة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1975م، ص89، الأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت370هـ/980م): تهذيب اللغة: تحقيق: محمد عوض مرعب، خمسة عشر جزءا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م، 193/6، العَوْتبي الصُحاري: الإبانة في اللغة العربية: 601/4، الفيروزآبادى: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى(ت 817هـ/1415م): القاموس المحيط: تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثامنة، 1426هـ/2005م، ص 657، الزبيدي: تاج العروس:116/19، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار): المعجم الوسيط، دار الدعوة(د.ت)، 1003/2.

[272] النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب:20/28، الصفدي: الوافي بالوفيات:17/12. كان له طبيب اسمه سعيد بن توفيل نصرانيّ، فقال له: ما الرَّأي؟ قال: لا تقرب الغداء اليوم وغدًا. –وكان جائعًا– فاستدعى خروفًا وفراريجَ فأكل منها، وكان به علَّة القيام فانقطع، فأخبر الطَّبيب، فقال: إنَّا لله ضعُفت القوَّة الدَّافعة بقهر الغِذَاء لها، فعاوده الإسهال، فخرج من أنطاكية في مِحَفَّة تحمله الرِّجال إلى الفَرْما، فضعف، فركب في البحر في قُبَّة إلى مصر، وقيل لطبيبه: أنت حاذق، فانظر كيف تكون؟ فقال: "والله ما خِدْمتي له إلَّا خدمة الفأر للسِّنَّور، والسَّخلة للذِّئب، وإنَّ قتلي عنده أهونُ عليَّ من صحبته". ينظر: سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان:79/16-80، ابن أبي أصيبعة: أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين(ت 668هـ/1269م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت(د.ت)، ص541، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة:17/3-18.

[273] ابن الأثير: الكامل في التاريخ:427/6-428، وينظر: سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان:79/16-80، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب:20/28، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة:17/3-18. نهاه الطبيب عن كثرة الغذاء فتناوله سرّا، فكثر عليه الاختلاف، لأنّ أصل علّته هيضة من لبن الجواميس. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ص541، الصفدي: الوافي بالوفيات:17/12، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:395/4، المقريزي: المقفى الكبير:258/1.

وأسفر هذا المرض– في تلك الظروف العصيبة من الحروب الخارجية والتمردات الداخلية، والإجهاد الكبير ماديا ونفسيا في توطين علاقات جيدة مع الخلافة العباسية التي لا تقر على حال– عن مساوئ النفس البشرية حين تصل إلى اعتلاء السلطة فتطغى وتتجبر، فلا تقيم حرمة لعالم، ولا ترعى كرامة لرجال الدين، ولا تبصر مآلات المتجرئين على أهل الله؛ فقد ضرب ابن طولون بكار بن قتيبة القاضي، وأقامه للناس في الميدان وأمر بإهانته وسجنه[275]، وقتل سعيد بن توفيل(الطبيب) مضروبا بالسياط[276].

**تعقيب:**

يغلب على ظني بعد الرجوع إلى ترجمة الهيضة في كتب اللغة والطب والمعاجم، إلى أن السبب الرئيس لوفاة ابن طولون– والموت حق– الحزن والهم اللذان راكمتهما المشكلات والحروب والأخطار وكثرة الأسفار بين مصر والشام، والخوف على ضياع الملك بسفه الحاشية أو بتمرد الثوار، وبلغ الحزن منتهاه بعصيان ابنه العباس ورجوعه ذليلا بعد عز وتمكين، وعجز ابن طولون عن الدخول إلى طرسوس[277] بعد أن أوشكت

---

[274] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ص 541، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:395/4، الصفدي: الوافي بالوفيات:18/12.

[275] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:395/4، المقريزي: المقفى الكبير:258/1،

[276] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:395/4، قال له طبيبه سعيد: " أكلت السفرجل للشبع وَلم تَأْكُله للعلاج، فَقَالَ: يَا ابْن الفاعلة جَلَست تنادرني(تهاترني) وَأَنت صَحِيح سوي وَأَنا عليل مدنف، ثمَّ دَعَا بالسياط فَضَربهُ مِائَتي سَوط، وَطَاف بِهِ على جمل، وَنُودِيَ عَلَيْهِ: هَذَا جَزَاء من ائْتمن فخان، وَنهب الْأَوْلِيَاء منزله، وَمَات سعيد بعد يَوْمَيْنِ". ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ص 544، وينظر: البلوي: سيرة ابن طولون: ص328. ورفع إلى ابن طولون أن هرثمة قال: "توهمنا أننا نخدم إمارة، ولم ندر أنها خلافة، إلا أنها خلافة وسخة مخوفة العاقبة". البلوي: سيرة ابن طولون: ص317.

[277] طَرَسُوس: اسمها بالروميّة تارسم، وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، بناها الرشيد سنة 170هـ/787م، ومدّنها وجعل عليها سورين من حجارة وكانت تشتمل من الخيل والرجال والعدّة والعتاد والكراع والسلاح والعمارة والخصب والغلّات والأموال والسعة في جميع الأحوال، وكان بها نهر جار يأتي من بلاد الروم، ويشق في وسطها. وأهلها أخلاط من الناس، وهم مقاتلون شجعان. ابن خرداذبة: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة (ت نحو 280هـ/893م): المسالك والممالك: دار صادر أفست ليدن، بيروت، 1889م، ص 99، الإصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري، المعروف بالكرخي (ت 346هـ/957م): المسالك والممالك أو مسالك الممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، (د.ت)، ص 47، إسحاق بن الحسين المنجم: آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان: ص 62، مجهول (ت بعد 372هـ/982م): حدود العالم من المشرق إلى المغرب: حققه وترجمه عن الفارسية: السيد يوسف الهادي الدار الثقافية للنشر، القاهرة،1423هـ/2003م، ص 176، ابن حوقل: صورة الأرض: 183/1، ياقوت الحموي: معجم البلدان: 28/4.

غالبيـة جنـوده أن تغـرق [278]، والحيلولـة دون القضـاء علـى تمـرد يازمـان الخـادم(ت 278هـ/891م) وعصيانه، فأضعف الحزن قوته وفتح الهم سبيلا لمعاودة الأمراض فقلت مناعته، وضعف جيش جسمه عن مقاومتها بضعف جنوده أيضا، بعد غرق المضارب والخيم، فأغرقته الوساوس، وخيم الخوف على فكره، وسيطر الهم عليه، فلما شرب لبن الجواميس مشت أمعاؤه، لا لفساد المشروب، ولكن لفساد مزاج الشارب وسوء حالته النفسية، ولم تكن الهيضة أو الكوليرا سببا لوفاته- على عكس ما ذكره المؤرخون- ولكنها في رأيي في ضوء فلسفة التاريخ والوقوف على الملابسات المكانية بين ثغري المصيصة[279] وطرسوس، والزمانية مع الشتاء، وشدة البرد، والبيئية بتفجير يازمان النهر ومحاصرة الماء جنوده من كل جانب، والشخصية المتمثلة في عجز القائد الشجاع الطموح عن الوصول إلى بغيته وتأديب خادمه كانت عَرَضًا لمعاودة الحزن والهم المفضيان إلى موته، لعجزه عن التشفي بالانتقام.

يؤكد ذلك السبب المفضي إلى موته أن حركة الغضب من داخل الجسد إلَى خارجه، أما الْحُزْنُ فمن خارج الجسد إلى داخله. لذا يقتل الحزنُ؛ لتسببه في الأسقام والأمراض،

---

[278] ينظر: الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة: ص 170-171، البلوي: سيرة ابن طولون: ص311، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان:62/16.

[279] المِصِّيصة: مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام، بين أنطاكية وبلاد الروم، كانت من الأماكن التي يرابط بها المسلمون قديما. ثغر من ثغور الشام، بناها أبو جعفر المنصور في خلافته، فكانت تسمى بغداد الصغيرة؛ لأنها كانت جانبين على النهر، وكان بها من أهلها فتيان فرسان ظرفاء شجعان. وكان يعمل بالبلد الفراء المصيصية، تحمل إلى الآفاق، وربما بلغ الفرو منها ثلاثين دينارا، ويعمل بها عيدان السروج التي يبالغ بثمنها إلى هذه الغاية. والمصّيصة مدينتان: إحداهما تسمى المصّيصة، والأخرى كفربيّا على جانبي جيحان، وبينهما قنطرة حجارة حصينة جدا، على شرف من الأرض ينظر منها الجالس في المسجد الجامع إلى قرب البحر نحو أربعة فراسخ. ينظر: اليعقوبي: البلدان ص 204، ابن الفقيه: البلدان: ص 162، الإصطخري: المسالك والممالك أو مسالك الممالك: ص47، مجهول: حدود العالم من المشرق الى المغرب: ص 175، ابن حوقل: صورة الأرض:183/1، المهلبي: الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي (ت 380هـ/990م): المسالك والممالك: جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف: دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2006م، ص 104، البكري: معجم ما استعجم:1235/4، الإدريسي: نزهة المشتاق:646/2، ياقوت: معجم البلدان:144/5-145، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد: ص 564، ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع:1280/3، الحميري: الروض المعطار: ص 554، محمد كبريت: رحلة الشتاء والصيف: ص 154، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى الحلبي، الشهير بالغزي (ت 1351هـ/1933م): نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، حلب، الطبعة الثانية، 1419هـ/1998م، 23/3، محمد كرد علي: (ت 1372هـ/1956م): خطط الشام: ستة أجزاء، مكتبة النوري، دمشق، الطبعة الثالثة، 1403هـ/1983م، 12/1.

ولا يقتل الغضبُ الذي يجد متنفسه في السطوة والانتقام[280]؛ لأن قوة الغضب متى تحركت تحرك دم القلب، فلما تحركت على من أيقن ابن طولون أنه لا سبيل له إلى الانتقام منه انقبض دم القلب؛ جزعًا على عجزه عن الانتقام، وذلك هو الغم[281].

[280] ينظر: الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي(ت 450هـ/1058م): أدب الدنيا والدين: دار مكتبة الحياة، بدون طبعة، 1986م، ص 258.

[281] الراغب الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص 231.

## خاتمة بأهم النتائج

**في نهاية هذه الدراسة اطمأن الباحث إلى مجموعة من النتائج، يمكن الإشارة إليها في النحو الآتي:**

-أهمية كتب السير، وإن غضت الطرف عن النقد وإبراز سلبيات الحاكم أو قصوره في بعض الجوانب السياسية والأخلاقية، ومنها سيرة ابن طولون للبلوي، وهو أهم من ترجم للأمير الطموح، حتى صار عمدة لمن بعده، وأمسوا عيالا عليه.

-إثبات صحة نسب ابن طولون لأبيه، بعدم نيل مؤسسة بغداد منه، و وعدم الإشارة إلى التعريض بذلك الأمر وقت اشتداد الخصومة التي وصلت إلى اللعن واستصدار الفتاوى بالعزل والخروج عن الشرعية والطاعة.

-يعكس سوءَ حالة السجون وضيقها، وإذلال المسجونين وفاةُ المعاقَبين في سجون ابن طولون بعد سنوات قليلة، وعدمُ استطاعة المؤرخين تحديد سنوات وفياتهم بدقة، على الرغم من شهرتهم؛ حيث كان معظمهم يشتغل في البلاط الطولوني بالقضاء أو الكتابة أو الوزارة.

-الثقافة جزء أصيل من بيئة الإنسان داخل إطار قوانين المجتمع ومعتقداته وعاداته ومعارفه وأخلاقه؛ لتوثيق الأحداث والتفاعلات وفهمها وقت حدوثها، ومراقبة التغير في أثناء حدوثه.

-كل إشارة وإن كانت صغيرة لها مدلول تستمد منه قيمتها الجزئية في سياق البنية الكلية العامة، وما التاريخ الشمولي إلا مجموعة وحدات تتراص في نسق عام.

-ازدياد خطر الأتراك؛ لاعتماد مؤسسة الخلافة العباسية عليهم في ردع أطماع القادة وطموحات الزعماء، وتحولهم التدريجي إلى مراكز قوى تهدد عرش الخلفاء وحياتهم، وتنازعهم السلطة السياسية والتنفيذية، وإن لم تنازعهم السلطة الروحية، وطموح غير واحد من الأمراء الأتراك في الاستقلال عن الدولة العباسية بأحد الأطراف لأسباب خاصة أو عامة.

-ارتباط التاريخ بالفلسفة ورغبة الفلاسفة في الاقتراب من الحقل التاريخي، بواسطة الكيان العضوي الاجتماعي الذي يتكون من خلايا، تعد مرادفة على نحو كبير لبنية قديمة مشهورة عرفت عند المهتمين بالعمران وتكوين المجتمعات البشرية، ومنهم ابن خلدون بالعصبية.

–المجايلة –أو صراع الأقران– كانت سبب اشتعال حدة الصراع والتنافس بين ابن طولون والموفق طلحة؛ نظرا لقوة الأميرين وتقارب صفاتهما السياسية في فلسفة الحكم والإدارة بمنظور ديني؛ لأن نفسية الفرد في المجتمعات التاريخية مفعمة بالنزعة الدينية.

–حياة الإنسان تتحرك بتفاعلات الفرد والمجتمع والحضارة، وفقا لدوافع التبعية أو الاستقلال، وتحديات المواجهة أو الاستجابة.

–من الأخطاء المنهجية عدم دراسة التاريخ على أساس جغرافي؛ لجدلية العلاقة بين الزمان الذي يدرسه التاريخ والمكان الذي تدرسه الجغرافيا، وهما لا ينفصلان.

–سيطرة المؤرخ أو الفيلسوف على جزئيات الحالة المصغرة(المهمشة) وتحليلها ميكروسكوبيا مفيد في دقة النتائج، للاقتراب من المنهج العلمي السليم، بالكشف عن وظائف وعلاقات ودوافع لم تر من قبل؛ لفك الرموز والإشارات، وإعادة ترتيب البنى التاريخية أو الأنساق في الدراسة الرأسية للمجتمعات من الداخل.

–**ثمة نظرة من أعلى للتاريخ، ونظرة من أسفل**، وما أحوجنا إلى الجمع بين النظرتين!

–ومن تلك التصورات والمناهج والمدارس التاريخية التي تهتم بجانب على حساب آخر، وترعى طبقة دون أخرى، موغلة في عرض التاريخ من أعلى، دون عناء التفتيش عن المهمشين وملامح حياتهم وسلوكهم من أسفل، اكتفاء بقشرة التاريخ الخارجي، وعدم التنقيب عن لبابه الداخلي تتجلى قيمة **التفسير المتنامي للبنية التاريخية في** التوفيق والجمع بين فلسفة التاريخ والتاريخ الجديد، والاهتمام بالظواهر الكبرى والصغرى. خاصة بعد اكتفاء ابن خلدون بالتنظير تاركا تطبيق ما نادى به في المقدمة إلى من يأتي بعده من المؤرخين.

–قصور ابن خلدون عن نقد الأحداث التاريخية أو تقديم رؤية مغايرة للدولة الطولونية عامة، والنزعة الانتقامية عند ابن طولون خاصة، مكتفيًا بالنقل عن السابقين، دون العزو إليهم في معظم النقول.

–أهمية بيان قيمة فلسفة ابن خلدون التاريخية وتجلياتها –أو خفوتها– في تاريخه بالنظر في سياقات بعض المذاهب الفلسفية والمناهج والمدارس والتيارات التي اهتمت بدراسة التاريخ وتفسيره للوقوف على حركية الوصف التاريخي للبنى السياسية والحضارية.

–الفقر الشديد في المادية الغربية ورؤيتها في تفسير التاريخ، وتتبع مراحل نمو الحدث التاريخي؛ بسبب غياب تأثير المهمشين أو التاريخ من أسفل في صنع الأحداث والمشاركة في توجيه قرارات الساسة والعظماء.

-مسكويه(ت421هـ/1030م) أول مؤرخ مسلم نهج منهج الاستدلال الفلسفي مع ما كان له من نظرة أخلاقية عمليّة برجماتية (Pragmatic) إلى حوادث التاريخ، فهو حكيم أخلاقي، ويعد بكتابه (تجارب الأمم) أوّل من شقّ الطريق إلى فلسفة التاريخ.

-نمو العلم الاجتماعي داخل سياق سياسي وتاريخي يزيد من دور المؤسسات في بناء السلوك السياسي، ويتضح هذا الدور في الأثر الذي تركته مؤسسة الخلافة وحكومة بغداد في نفس ابن طولون وتوجهه السياسي الرامي إلى الاستقلال ومناطحة البلاط العباسي.

-صعوبة قراءة التاريخ أو إعادة قراءته بالمناهج التقليدية دون الانغماس في الفلسفة وعلم الاجتماع وتنمية ملكة النقد، بتضام عمل المؤرخ والفيلسوف؛ لاستخراج درر التفسير والتحليل والبحث عن الدوافع وتجلية النتائج.

-تشبع شخصية ابن طولون بقوتين عظميين، هما(الزمن والعبقرية)؛ لتنضج عبقريته، ويتنامى طموحه المشروع- بمساعدة الأقدار- على نار من الزمن.

-بنية النزعة الانتقامية عند ابن طولون تتجلى أبرز مظاهرها في إذلال كل من أساء إليه، أو ألغى وجوده، أو وشى به لدى حكومة بغداد، أو حاول الحيلولة دون طموح الأمير الشاب نحو الاستقلال بمصر، أو خالف أوامره بالامتناع عن إصدار فتاوى تمكينه، أو زين عصيانه للمتمردين والخارجين والمتآمرين ببينة أو بأدنى شبهة.

-تنكر حاضرة الخلافة للخليفة المستعين بخلعه وقتله، وهو في معية ابن طولون يعد السبب الأقوى في تحول شخصية ابن طولون وسلوكه، وزيادة وعيه السياسي، وتنبهه منذ وقت مبكر لألاعيب الساسة ومؤامرات البلاط في حكومة بغداد، وإنماء بنية الغضب على الأتراك والخلافة في آن معا، والاستعداد للانتقام بعد توسيع دائرة السلطة ومستحقي العقاب من وجهة نظره.

-ابن طولون أمير ساعده غرماؤه وأعداؤه في تحقيق مشروعه الاستقلالي، وتوسيع دولته، وتكوين جيش عظيم أصبح أداتَه ضدهم، فقويت شوكته، وزالت هيبة أعداؤه ونقصت صلاحياتهم، وضعفت مراكز القوى.

-ابن طولون- في سنوات حكمه الأخيرة- لم يكن يغلِّب عقله في قهر انفعالاته، فتشدد في التعذيب والإهانة، دون مراعاة أثر المصاهرات السياسية، والمكانة الدينية والخبرة الإدارية، حتى لأصحاب الفضل عليه.

-ظهور بنية الانتقام على سطح غريزة الغضب نتيجة لها أظهر وأقوى من عاطفة الأبوة؛ في معاقبة ابن طولون لابنه العباس والأمر بضربه، حتى مع بكائه عليه.

–العباس بن أحمد بن طولون يعد أحمق ولاة العهد؛ إذ عصى أباه بعدما استخلفه وليا لعهده، وكان أكبر أولاده وأحبهم إليه، وأكثرهم حظوة عنده وتمكُّنًا من قلبه، لكنه تعجل الانفراد بالسلطة، بعد تزيين بطانته له الخروج والعصيان، وطمع في المُلك –الذي كان من المنطقي أن يؤول إليه– قبل أوانه؛ فعوقب بحرمانه.

–غدر ابن طولون ببعض أصحاب الفضل عليه لا يمكن عزوه إلا لشهوة الملك وحب العرش والخوف على السلطة، وحظوظ النفس التي تأخذ بالظن والوساوس لأدنى شبهة. فكان أول العلاج عنده الكي؛ لذا أسرف في المصادرات والسجن والتعذيب والقتل.

–مساوئ النفس البشرية حين تصل إلى اعتلاء السلطة فتطغى وتتجبر، فلا تقيم حرمة لعالم، ولا ترعى كرامة لرجال الدين، ولا تبصر مآلات المتجرئين على أهل الله.

–السبب الرئيس لوفاة ابن طولون الحزن والهم اللذان راكمتهما المشكلات والحروب والأخطار وكثرة الأسفار بين مصر والشام، والخوف على ضياع الملك بسفه الحاشية أو بتمرد الثوار، مع اليأس من تحقيق النصر وإدراك لذة التشفي من الأعداء.

–

# قائمة المصادر والمراجع

## أولًا: المصادر العربية:

1) الآبي: منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبي(ت 421هـ/1030م): **نثر الدر في المحاضرات:** تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، سبعة أجزاء في أربعة مجلدات، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004م.

2) ابن الأبار: محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت 658هـ/1260م): **إعتاب الكتاب:** حققه وعلق عليه وقدم له: صالح الأشتر: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الأولى، 1380هـ/1961م.

3) الأبشيهي: شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (ت 852هـ/1448م): **المستطرف في كل فن مستطرف:** عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م.

4) ابن الأثير: أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري(ت630هـ/1233م): **الكامل في التاريخ:** تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، عشرة أجزاء، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م.

5) ابن الأثير: أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت 637هـ/1239م): **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:** تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، أربعة أجزاء، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، (د. ت).

6) أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت241هـ/855م): **مسند الإمام أحمد بن حنبل:** حققه: شعيب الأرناؤوط وآخرون، خمسة وأربعون جزءا، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/2001م.

7) الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي(ت560هـ/1165م): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق:** مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، القاهرة 1431هـ/2010م.

8) الأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت370هـ/980م): **تهذيب اللغة:** تحقيق: محمد عوض مرعب، خمسة عشر جزءا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.

9) إسحاق بن الحسين المنجم (ت ق 4هـ/العاشر الميلادي): **آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان:** تحقيق: فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م.

10)الإصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري، المعروف بالكرخي (ت 346هـ/957م): **المسالك والممالك أو مسالك الممالك:** الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، (د.ت).

11)أصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني (ت502هـ/1108م): **الذريعة إلى مكارم الشريعة:** حققه: أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام– القاهرة، 1428هـ/2007م.

12)-----: **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء:** جزآن، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ/1999م.

13)ابن أبي أصيبعة: أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين(ت 668هـ/1269م): **عيون الأنباء في طبقات الأطباء:** تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت(د.ت).

14)الأنصاري: زين الدين أبو يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري (ت926هـ/1520م): **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة:** تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر– بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ/1991م.

15)ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله (ت733هـ/1333م): **كنز الدرر وجامع الغرر:** الجزء الخامس( **الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية**): تحقيق: دوروتيا كرافولسكي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1413هـ/1992م.

16)بامخرمة: أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي الشافعي (947هـ/1540م): **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر:** عُني به: بو جمعة مكري، خالد زواري، ستة أجزاء، دار المنهاج– جدة، الطبعة الأولى، 1428هـ/2008م.

17)ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (ت 779هـ/1377م): **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار:** تحقيق: عبد الهادي التازي، خمسة أجزاء، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط،1417هـ/1997م.

18)البكري: أبو عبد الله بن أبى مصعب عبد العزيز بن أبى زيد محمد بن أيوب بن عمرو البكري (ت487هـ/1094م): **المسالك والممالك:** جزآن، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1992م.

19)----: **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع:** أربعة أجزاء، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ/1983م.

20)البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت 279هـ/892م): **فتوح البلدان:** دار ومكتبة الهلال– بيروت، 1988م.

21)البلوي: خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي(ت747هـ/1346م): **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**: تحقيق وتقديم. الحسن السائح، مطبعة فضالة، المغرب(د.ت).

22)البلوي: أبو محمد عبد الله بن محمد المديني البلوي (ت القرن الرابع الهجري/القرن العاشر الميلادي): **سيرة ابن طولون**: حققها وعلق عليها: محمد كرد علي، سلسلة الذخائر، عدد (55)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1999م.

23)البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت 458هـ/1066م): **شعب الإيمان**: حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي– الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، 1423هـ/2003م.

24)الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت 279هـ/892م): **سنن الترمذي**: تحقيق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض (جـ 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية، 1395هـ/1975م.

25)ابن تغري بردي: أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي(ت874هـ/1470م): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008م.

26)التهانوي: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي(ت بعد 1158هـ/1745م): **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**: حققه: علي دحروج، جزآن، راجعه: رفيق العجم، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 1996م.

27)الثعالبي: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ/1038م): **التمثيل والمحاضرة**: تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، 1401هـ/1981م.

28)الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت 255هـ/869م): **الرسائل السياسية**: دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د.ت).

29)الجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت 816هـ/1413م): **كتاب التعريفات**: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م.

30)الجهشياري: أبو عبد الله بن عبدوس الجهشياري(331هـ/943م): **الوزراء والكتاب**: حققه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي، تقديم: عطية القوصي، سلسلة الذخائر، عدد 126، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2004م.

31)ابـن الجـوزي: جمـال الـدين أبـو الفـرج عبـد الـرحمن بـن علـي بـن محمـد الجـوزي(ت 597هـ/1201م): **اللطائف والطب الروحاني**: تحقيق: عبد القادر عطا، مكتبة القاهرة، القاهرة، (د.ت).

32)------: **المنتظم في تاريخ الملوك الأمم**: تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبـد القـادر عطـا، تسـعة عشـر جـزءا، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، الطبعـة الأولـى، 1412هـ/1992م.

33)ابن حَجَر العسقلاني: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت852هـ/1448م): **رفع الإصر عن قضاة مصر**: تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م.

34)ابـن حجـر الهيتمـي: أحمـد بـن محمـد بـن علـي بـن حجـر الهيتمـي السـعدي الأنصـاري (ت909- 974هـ/1567م): **الزواجر عن اقتراف الكبائر**: جزآن، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1408هـ/1987م.

35)ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (ت 656هـ/1258م): **الفلك الدائر على المثل السائر**: تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.

36)الحُصري القيرواني: إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (ت 453هـ/1061م): **زهر الآداب وثمر الألباب**: أربعة أجزاء، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

37)ابن حمدون: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت 562هـ/1167م): **التذكرة الحمدونية**: عشرة أجزاء، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م.

38)الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميري (ت727هـ/1327م): **الروض المعطار في خبر الأقطار**: تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، طبع على مطابع دار السراج، الطبعة الثانية، 1980م.

39)الحميري: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت 573هـ/1177م): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، يوسف محمد عبد الله، أحد عشر مجلدا (في ترقيم مسلسل واحد)، ومجلد للفهارس، دار الفكر المعاصر (بيروت)، دار الفكر (دمشق)، الطبعة الأولى، 1420هـ/1999م.

40)ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي البغدادي النصيبي (380هـ/990م): **صورة الأرض**: جزآن، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، 1938م.

41)أبو حيان التوحيدي: علي بن محمد بن العباس (ت نحو 400هـ/1010م): **البصائر والذخائر**: تحقيق: وداد القاضي، عشرة أجزاء، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م.

42)أبو حيان التوحيدي: **مثالب الوزيرين = أخلاق الصاحب بن عباد وابن العميد**: حققه وعلق عليه: محمد بن تاويت الطنجي، دار صادر – بيروت، بإذن: المجمع العلمي العربي بدمشق، 1412هـ/1992م.

43)ابن حيان القرطبي: حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي بالولاء، أبو مروان (ت 469هـ/1076م): **المقتبس من أنباء الأندلس**: تحقيق: محمود علي مكي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة، 1390هـ/1970م.

44)الخادمي: محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمى الحنفي (ت 1156هـ/1763م): **بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية**: أربعة أجزاء، مطبعة الحلبي، (د. ط)، 1348هـ/1930م.

45)ابن خرداذبة: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة (ت نحو 280هـ/893م): **المسالك والممالك**: دار صادر أفست ليدن، بيروت، 1889م.

46)الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت 463هـ/1072م): **تاريخ بغداد وذيوله**: تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، 24 جزءا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م.

47)ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت 808هـ/1406م): **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**: تحقيق: خليل شحادة، ثمانية أجزاء، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1408هـ/1988م.

48)ابن خلكان: شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت681هـ/1282م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: تحقيق: إحسان عباس، سبعة أجزاء، دار صادر، بيروت(د.ت).

49)الخليل بن أحمد الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي(ت170هـ/786م): **كتاب العين**: تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ثمانية أجزاء، دار الهلال، بغداد، 1985م.

50)الخوارزمي: أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي، أبو بكر (ت 383هـ/993م): **الأمثال المولدة**: المجمع الثقافي، أبو ظبي،1424هـ/2003م.

51)------: مفيد العلوم ومبيد الهموم، دمشق، 1323هـ/1906م.

52)الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله الذهبي(ت748هـ/1347م): **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: تحقيق: عمر عبد

السلام تدمري، ثلاثة وخمسون جزءا، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى،1407هـ/1987م.

53)-----: **سير أعلام النبلاء**: تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، 1413هـ/1992م.

54)الرازي: أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (ت 313هـ/925م): **الحاوي في الطب**: تحقيق: هيثم خليفة طعيمي، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ/2002م.

55)الرازي: أحمد بن سهل الرازي (ت نحو 325هـ/937م): **أخبار فخ وخبر يحيي بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله**: تحقيق: ماهر جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1995م.

56)الزَّبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى (1145–1205هـ/1732–1790م): **تاج العروس من جواهر القاموس**: تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية، الكويت(د.ت).

57)الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ/1143م): **المستقصي في أمثال العرب**: جزآن، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، 1987م.

58)سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر يوسف (ت654هـ/1256م): **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**: تحقيق: مجموعة علماء،23 جزءا، دار الرسالة العالمية، دمشق، الطبعة الأولى، 1434هـ/2013م.

59)ابن سعيد الأندلسي: علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك(ت685هـ/1286م): **المقتطف من أزاهر الطرف**: شركة أمل، القاهرة، 1425هـ/2004م.

60)ابن السكيت: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت 244هـ/858م): **كتاب الألفاظ**: تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، 1998م.

61)السلمي: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، (ت 412هـ/1021م): **عيوب النفس**: تحقيق: مجدي فتحي السيد، مكتبة الصحابة – طنطا(د.ت).

62)ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت458هـ/1066م): **المحكم والمحيط الأعظم**: تحقيق: عبد الحميد هنداوي، أحد عشر جزءا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م.

63)السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ/1505م): **حسن المحاضرة**: حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، جزآن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى 1387هـ/1967م.

64)------: **شرح شواهد المغني:** وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان، جزآن، تعليقات: محمد محمود ابن التلاميد التركزي الشنقيطي، لجنة التراث العربي، دون طبعة، 1386هـ/1966م.

65)------: **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم:** تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004م.

66)ابن شاكر الكتبي: صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبي الداراني الدمشقي (ت764هـ/1363م): **فوات الوفيات:** تحقيق: إحسان عباس، أربعة أجزاء، دار صادر، بيروت، 1973-1974م.

67)الشريف المرتضى: الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت436هـ/1044م):**أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد):** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)،(د. مك)، الطبعة الأولى، 1373هـ/1954م.

68)الشيباني: أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني بالولاء (ت 206هـ/821م): **الجيم:** حققه: إبراهيم الأبياري، راجعه: محمد خلف أحمد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1394هـ/1974م.

69)الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764هـ/1363م): **الوافي بالوفيات:** تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، 29 جزءا، دار إحياء التراث- بيروت،1420هـ/2000م.

70)الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت 310هـ/923م): **تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي(ت369هـ/979م):** أحد عشر جزءا، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، 1387هـ/1967م.

71)العاملي: محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، بهاء الدين (ت 1031هـ/1622م): **الكشكول:** تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، جزآن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م.

72)ابن عَبْد الْحَقّ: عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين (ت 739هـ/1338م): **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع:** ثلاثة أجزاء، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/1993م.

73)ابن عبد ربه: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت 328هـ/940م) **العقد الفريد:** ثمانية أجزاء، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ/1983م.

74)ابن عثمان: موفق الدين أبو محمد بن عبد الرحمن الشافعي (ت615هـ/1218م): **مرشد الزوار إلى قبور الأبرار**: جزآن، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1415هـ/1994م.

75)ابن العديم: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين(ت660هـ/1262م): بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، اثنا عشر جزءا، دار الفكر، دمشق، (د.ت).

76)ابن عساكر: ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ/1176م): **تاريخ دمشق**: تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، ثمانون جزءا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،(د. مك)، 1415هـ/1995م.

77)العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو 395هـ/1005م): **جمهرة الأمثال**: جزآن، دار الفكر، بيروت، (د. ت).

78)-----: **معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة**: تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م.

79)العصامي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت 1111هـ/1699م) **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**: تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م.

80)ابن علّان: محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي (ت 1057هـ/1647م): **الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية**: سبعة أجزاء، جمعية النشر والتأليف الأزهرية، (د. ت).

81)العَوْتبي الصُحاري: سَلَمة بن مُسْلِم بن إبراهيم العَوْتبي الصُحاري العُماني(ت 512هـ/1118م): **الإبانة في اللغة العربية**: حققه: عبد الكريم خليفة، نصرت عبد الرحمن وصلاح جرار، محمد حسن عواد، جاسر أبو صفية، أربعة أجزاء، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، الطبعة الأولى، 1420هـ/1999م.

82)الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ/1111م): **إحياء علوم الدين**: أربعة أجزاء، دار المعرفة – بيروت، (د.ت).

83)-----: **معارج القدس في مدارج معرفه النفس**: دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الثانية، 1975م.

84)-----: **ميزان العمل**: حققه وقدم له: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 1964م.

85)الفَتَّنِي: جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (ت 986هـ/1578م): **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**: خمسة أجزاء، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة، 1387هـ/1967م.

86)ابن الفقيه: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت 365هـ/951م): **البلدان**: تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ/1996م.

87)الفيروزآبادى: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى(ت 817هـ/1415م): **القاموس المحيط**: تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثامنة، 1426هـ/2005م.

88)القالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (ت 356هـ/967م): **البارع في اللغة**: تحقيق: هشام الطعان، مكتبة النهضة، بغداد – دار الحضارة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1975م.

89)ابن قتيبة الدِّينَوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ/889م): **الجراثيم**: حققه: محمد جاسم الحميدي، جزآن، قدم له: مسعود بوبو، وزارة الثقافة، دمشق(د.ت).

90)----------: **عيون الأخبار**: أربعة أجزاء، دار الكتب العلمية –بيروت، 1418هـ/1998م.

91)ابن قدامة المقدسي: نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ت 689هـ/1290م): **مختصر منهاج القاصدين**: قدم له: محمد أحمد دهمان، مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، 1398هـ/1978م.

92)القزويني: أبو عبد الله زكريا بن محمد القزويني الأنصاري (682هـ/1283م): **آثار البلاد وأخبار العباد**: دار صادر، بيروت، 1380هـ/1960م.

93)القلقشندي: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي(ت821هـ/1418م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**: خمسة عشر جزءا، دار الكتب العلمية، بيروت،(د. ت).

94)كراع النمل: أبو الحسن علي بن الحسن الهُنائي الأزدي (ت بعد 309هـ/921م): **المنتخب من غريب كلام العرب**: تحقيق: محمد بن أحمد العمري، جزآن في ترقيم مسلسل واحد، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، 1409هـ/1989م.

95)الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري (ت بعد 355هـ/بعد 966م) **كتاب الولاة وكتاب القضاة**: تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م.

96)الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي(ت 450هـ/1058م): **أدب الدنيا والدين:** دار مكتبة الحياة، بدون طبعة، 1986م.

97)مجهول(ت بعد 372هـ/982م): **حدود العالم من المشرق إلى المغرب:** حققه وترجمه عن الفارسية: السيد يوسف الهادي الدار الثقافية للنشر، القاهرة،1423هـ/2003م.

98) محمد كبريت: محمد بن عبد الله بن محمد (ت1070هـ/1757م): **رحلة الشتاء والصيف:** تحقيق: محمَّد سَعيد الطنطاوي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية: 1385هـ/1966م

99) المستعصمي: محمد بن أيدمر المستعصمي (710هـ/1310م): **الدر الفريد وبيت القصيد:** تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ثلاثة عشر جزءًا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1436هـ/2015م.

100) مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت421هـ/1030م): **تجارب الأمم وتعاقب الهمم:** حققه: أبو القاسم إمامي، سبعة أجزاء، سروش، طهران، الطبعة الثانية، 2000م.

101) -----: **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق:** حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، (د.ت).

102)معمر بن راشد: معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (ت 153هـ/770م): **جامع معمر بن راشد (منشور ملحقا بمصنف عبد الرزاق):** تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ/1983م.

103) ابن مفلح: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (ت 763هـ/1362م): **الآداب الشرعية والمنح المرعية:** ثلاثة أجزاء، عالم الكتب(د. ت).

104)المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي(766-845هـ/1365-1441م): **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا:** ج1 تحقيق: جمال الدين الشيال، ج2، ج3 تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، الذخائر، أعداد من 58- 60، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سنة 1999م.

105)المقريزي: المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، ثمانية أجزاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1427هـ/2006م.

106)-------: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار:** أربعة أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م.

107)المناوي: زين الدين محمد عبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت1031هـ/1622م): **التوقيف على مهمات التعاريف:** عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1410هـ/1990م.

108)ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت711هـ/1311م): **مختصر تاريخ دمشق:** تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، تسعة وعشرون جزءًا، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى، 1402هـ/1984م.

109)المنهاجي: شمس الدين محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق، المنهاجي الأسيوطي ثم القاهري الشافعي (ت 880هـ/1475م): **إتحاف الأخِصّا بفَضَائل المسجد الأقصى:** تحقيق: أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتب، 1982/1984م.

110)المهلبي: الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي (ت 380هـ/990م): **المسالك والممالك:** جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف: دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2006م.

111)النويري: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت733هـ/1333م): **نهاية الأرب في فنون الأدب:** 33 جزءا، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ/2003م.

112)الهروي: أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي (ت611هـ/1214م): **الإشارات إلى معرفة الزيارات:** تحقيق: على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م.

113)ابن الوردي: سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، البكري القرشي، المعري الحلبي (ت852هـ/1447م): **خريدة العجائب وفريدة الغرائب:** تحقيق: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1428هـ/2008م.

114)الوطواط: أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (ت 718هـ/1318م): **غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة:** ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م.

115)اليافعي: عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، عفيف الدين(698-768هـ/1298/1367م): **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان:** دار الكتاب الإسلامي- القاهرة،1412هـ/1993م.

116)ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله(ت626هـ/1229م): **معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب:** تحقيق: إحسان عباس، سبعة أجزاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ/1993م.

117)-------: **معجم البلدان:** خمسة أجزاء، دار الفكر، بيروت(د.ت).

118)اليعقوبي: أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي(ت بعد292هـ/905م): **كتاب البلدان:** ليدن، 1797م.

**ثانيا: المراجع العربية:**

119) آية سمير: **الاتجاهات الفلسفية في تطهير الذات، دراسة تحليلية نقدية في التأمل الفلسفي عبر العصور:** سلسلة الفلسفة، عدد 56، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2022م.

120) إبراهيم مدكور: **في الفلسفة الإسلامية- منهج وتطبيق:** الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2019م.

121) إحسان عباس: **العرب في صقلية – دراسة في التاريخ والأدب:** دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، 1975م.

122) أحمد أمين: **ظهر الإسلام:** دار الكتاب العربي، جزآن، بيروت، 1969م.

123) أحمد رضا: **معجم متن اللغة:** خمسة أجزاء، دار مكتبة الحياة، بيروت،1377-1380هـ/1958-1960م.

124) أحمد عبد العزيز محمود: **الأمن في بغداد خلال العصر العباسي الأول(145-247هـ/762-861م):** سلسلة رسائل وبحوث جامعية(14)، مكتب التفسير للنشر والإعلان، أربيل، الطبعة الأولى، 2008م.

125) أحمد العوايشة: **موقف الإسلام من نظرية ماركس:** دار مكة للطباعة، الطبعة الأولى، 1402هـ/1982م.

126) أحمد محمد شاكر: **جمهرة مقالات العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر – مع أهم تعقبات الشيخ على دائرة المعارف الإسلامية:** جمعها وأعدها واعتنى بها: عبد الرحمن بن عبد العزيز بن حماد العقل، جزآن (في ترقيم واحد متسلسل)، دار الرياض، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م.

127) أحمد محمد صبحي: **في فلسفة التاريخ:** الإسكندرية، 1975م.

128) أحمد مختار عمر: **معجم اللغة العربية المعاصرة:** أربعة أجزاء (3 ومجلد للفهارس) في ترقيم مسلسل واحد، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م.

129) الأحمد نكري: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق 12هـ/ق18م): **دستور العلماء= جامع العلوم في اصطلاحات الفنون:** عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، أربعة أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م.

130) أحمد بن ناصر الطيار: **حياة السلف بين القول والعمل:** دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1433هـ/2012م.

131) أحمد بن يوسف بن محمد الأهدل: **الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية:** مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الثالثة، 1431هـ/2010م.

132) إمام عبد الفتاح: **توماس هوبز – فيلسوف العقلانية:** مكتبة الثقافة، القاهرة، طبعة 1985م.

133) أمل مبروك: **فلسفة التاريخ:** القاهرة، 2010م.

134) تركي علي الربيعو: **أزمة الخطاب التقدمي العربي في منعطف الألف الثالث الخطاب الماركسي نموذجا:** دار المنتخب العربي، الطبعة الأولى، 1415هـ/1995م.

135) جزيل عبد الجبار الجومرد، وخليل إبراهيم السامرائي، وطارق فتحي سلطان: **تأريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي (132- 656هـ/749-1258م):** مديرية دار الكتب، الموصل، العراق، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م.

136) حجاج أبو جبر: **ازدواجية التنوير– دراسات في النقد الثقافي المقارن:** سلسلة الفلسفة، عدد 55، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2022م.

137) حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي:** أربعة أجزاء، مؤسسة روز اليوسف، سلسلة الكتاب الذهبي، القاهرة، 2003م.

138) حسن أحمد محمود: **العالم الإسلامي في العصر العباسي:** القاهرة، 1966م.

139) حسن حنفي: **في الفكر الغربي المعاصر:** المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، بيروت، 1990م.

140) ------: **مقدمة في علم الاستغراب:** المؤسسة الجامعية، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م.

141) حسن بن محمد حسن الأسمري: **النظريات العلمية الحديثة مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها دراسة نقدية:** جزآن في ترقيم واحد متسلسل، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1433هـ/2012م.

142) حسن مصطفى عبد المعطي، هدى محمد قناوي: **علم نفس النمو:** جزآن، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع(د.ت).

143) حورية عبده سلام: **الحياة الاجتماعية في العراق زمن البويهيين:** دار العالم العربي، الطبعة الأولى، المحرم 1430هـ/يناير 2009م.

144) خالد طحطح، وخالد اليعقوبي: **التاريخ من أسفل، في تاريخ الهامش والمهمش:** منشورات الزمن،(د. ت).

145) دولت أحمد صادق، وعلى على البنا: **أسس الجغرافيا العامة:** مكتبة الأنجلو المصرية، ط أولى، عام 1996م.

146) الزركلي: خير الدين الزركلي(ت1976م): **الأعلام- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين:** دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، مايو 2002م.

147) زينب الخضيري: **فلسفة التاريخ عند ابن خلدون:** القاهرة، 1991م.

148) سفر بن عبد الرحمن الحوالي: ال**عِلمانيَّة – نشأتهَا وتطوّرهَا وآثارُهَا في الحيَاة الإسلاميَّة المُعَاصِرَة:** دار الهجرة، (د.ت).

149) السيد خلف (أبو ديوان): **وحدك والصحراء رئة:** دار المشرق العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2024م.

150) سيار الجميل: **المجايلة التاريخية، فلسفة التكوين التاريخي(نظرة رؤيوية في المعرفة العربية الإسلامية):** بيروت، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1999م.

151) صلاح الدين الشامي: **الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية:** الطبعة الثانية، منشأة المعارف، الإسكندرية، عام 1999م.

152) طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عُبيَّة: **موجز عن الفتوحات الإسلامية:** دار النشر للجامعات- القاهرة، (د.ت).

153) عادل عوض: **فلسفة العلم في فيزياء أينشتين بحث في منطق التفكير العلمي:** دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2005م.

154) عبد الرازق الداوي: **موت الإنسان:** هايدجر، ليفي شتراوس، ميشال فوكو: دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1992م.

155) عبد الرحمن البرقوقي: (1363هـ/1944م): **الذخائر والعبقريات:** جزآن، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.

156) عبد الرحمن الميداني: **كواشف زيوف:** دار القلم، الطبعة الأولى: 1405هـ/1985م.

157) عبد الرحمن النحلاوي: **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع:** دار الفكر، الطبعة الخامسة والعشرون، 1428هـ/2007م.

158) عبد الرشيد محمودي: **فلاسفة الأندلس، سنوات المحنة والنفي والتكفير:** الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2019م.

159) عبد العزيز عتيق(ت 1396هـ/1976م): **علم المعاني:** دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م.

160) عبد العزيز قباني: **العصبية بنية المجتمع العربي:** دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1997م.

161) عبد الله بن ضيف الله الرحيلي: **الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها:** مطبعة سفير(دون طبعة ودون تاريخ).

162) عزمي إسلام: **لدفيج فتجنشتين:** سلسلة الفلسفة، عدد 60، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2023م.

163) علي عبد الواحد وافي: عبد الرحمن بن خلدون: **حياته وآثاره ومظاهر عبقريته:** وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، سلسلة أعلام العرب، مكتبة مصر، القاهرة(د.ت).

164) علي محمود إسلام الفار: **معجم علم الاجتماع:** دار المعارف، الطبعة الثانية، 2001م.

165) فاروق عمر: **الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية(247-334هـ/861-946م): دراسة تاريخية لبوادر التسلط العسكري على الخلافة العباسية:** منشورات مكتبة المثنى، بغداد، الطبعة الثانية، 1977م.

166) ------: **طبيعة الدعوة العباسية:** بيروت، 1970م.

167) فريد بن سليمان: **مدخل إلى دراسة التاريخ:** مركز النشر الجامعي، تونس، 2000م.

168) فؤاد زكريا: **إسبينوزا:** سلسلة الفلسفة، عدد 58، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2022م.

169) قاسم عبده قاسم: **عصر سلاطين المماليك:** دار الشروق، طبعة أولى، 1415هـ/1994م.

170) كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى الحلبي، الشهير بالغزي (ت 1351هـ/1933م): **نهر الذهب في تاريخ حلب:** دار القلم، حلب، الطبعة الثانية، 1419هـ/1998م.

171) لويس شيخو: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (ت 1346هـ/1927م): **مجاني الأدب في حدائق العرب:** ستة أجزاء، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1913م.

172) ليلى عبد الرشيد عطار: **آراء ابن الجوزي التربوية «دراسة وتحليلا وتقويما ومقارنة»:** منشورات أمانة للنشر، ميريلاند - الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م.

173) مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (ت 1393هـ/1973م): **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة:** دار الفكر- الجزائر، دار الفكر- دمشق، الطبعة الثالثة، 1408هـ/1988م، الطبعة الأولى، القاهرة، 1960م.

174) محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد: **الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة:** دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م.

175) محمد أجمل بن محمد أيوب الإصلاحي: **كتاب جمل الغرائب للنيسابوري وأهميته في علم غريب الحديث:** مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (دون طبعة ودون تاريخ).

176) محمد البهي: **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي:** مكتبة وهبة، الطبعة العاشرة، (د.ت).

177) محمد جريشة، ومحمد شريف الزيبق: **أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي:** دار الوفاء، الطبعة الثالثة، 1399هـ/1979م.

178) محمد جمال الدين سرور: **تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري:** دار الفكر العربي، (د.ت).

179) محمد حلمي محمد أحمد: **الخلافة والدولة في العصر العباسي:** القاهرة، 1959م.

180) محمد رشاد خليل: **المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره:** القاهرة، 1984م.

181) محمد سهيل طقوش: **تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية:** دار النفائس، الطبعة الأولى 1424هـ/2003م.

182) محمد عابد الجابري: فكر ابن خلدون.. العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994م.

183) محمد بن عبد الرحمن المغراوي: **موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية:** المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة– مصر، النبلاء للكتاب، مراكش– المغرب، الطبعة الأولى(د.ت).

184) محمد عمر بشينة: **الاتجاهات الاجتماعية والمذهبية وأثرها في سقوط الدول(الدولة الأموية نموذجًا):** الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2014م.

185) محمد عميم الإحسان المجددي البركتي(ت1395هـ/1974م): **التعريفات الفقهية:** دار الكتب العلمية، (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان 1407هـ/1986م)، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م.

186) محمد قطب: **مذاهب فكرية معاصرة:** دار الشروق، بيروت، الطبعة الثانية، 1407هـ/1987م.

187) محمد كرد علي: (ت 1372هـ/1956م): **خطط الشام:** ستة أجزاء، مكتبة النوري، دمشق، الطبعة الثالثة، 1403هـ/1983م.

188) محمد محروس الشناوي: **العملية الإرشادية:** دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1416هـ/1996م.

189) محمد منير مرسي: **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية:** عالم الكتب، طبعة مزيدة ومنقحة، 1425هـ/2005م.

190) محمود إسماعيل: **الأسطغرافيا والميثولوجيا:** القاهرة، 2009م.

191) ---------: **في تأويل التاريخ والتراث:** القاهرة، 2006م.

192) محمود إسماعيل، سلمى محمود إسماعيل: **فلسفة التاريخ بين فلاسفة الغرب ومؤرخي الإسلام:** الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2019م.

193) محمود مقديش(ت 1228 هـ/1813م): **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار:** تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ، جزآن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م.

194) مراد وهبة: **المعجم الفلسفي:** الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2016م، ص536.

195) مصطفى باحُّو السلاوي المغربي: **العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام:** المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1433هـ/2012م.

196) مصطفى الخشاب: **علم الاجتماع ومدارسه:** مطبعة لجنة البيان العربي: الطبعة الثالثة، سنة 1376هـ/1957م.

197) مصطفى محمد حلمي: **منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين:** دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م.

198) هادي التيمومي: **نظريات المعرفة التاريخية وفلسفات التاريخ في العالم الغربي في النصف الثاني من القرن العشرين:** المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، 2008م.

199) نبيل السمالوطي: **بناء المجتمع الإسلامي:** دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الثالثة، 1418هـ/1998م.

200) النعمان عبد المتعال القاضي: **شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام:** مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م.

201) يسري زيدان: **مصر في ظلال الإسلام حتى نهاية عهد الأيوبيين:** دار الهاني للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 1436هـ/2014م.

202) يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الحديثة:** سلسلة الفلسفة، عدد 61، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2023م.

**ثالثًا: المراجع الأجنبية المترجمة:**

203)إدوارد جيبون: **اضمحلال الإمبراطورية الرومانية:** ترجمة: محمد علي أبو درة، بيروت، الطبعة الأولى، (د.ت).

204)إسبينوزا: **رسالة في إصلاح العقل:** ترجمة: جلال الدين السعيد، تونس، دار الجنوب للنشر، 1990م.

205)ألكساندر زينوفيف: **ظاهرة الغربوية:** ترجمة: عادل إسماعيل، ونوفل نيُّوف، المركز القومي للترجمة، عدد 1630، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2010م.

206)إميل بوترو: **العلم والدين في الفلسفة المعاصرة:** ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني: سلسلة الفلسفة، عدد 46، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2021م.

207)إميل دور كايم: **قواعد المنهج في علم الاجتماع:** ترجمة محمود قاسم، مراجعة السيد محمد بدوي، مكتبة النهضة المصرية، 1950م.

**208)**أنجلو أوسينوبوس، وبول ماس، وإمانويل كنت: النقد التاريخي: ترجمها عن الفرنسية والألمانية عبد الرحمن بدوي: دار النهضة العربية، 1963م.

209)بول ريكور: **الذاكرة– التاريخ– النسيان:** ترجمه وقدمه وعلق عليه: جورج زيناني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م.

210)بول فين: **أزمة المعرفة التاريخية:** ترجمة إبراهيم فتحي، بيروت،( د. ت).

211)تيودور أدورنو، وماكس هوركهايمر: **جدل التنوير:** ترجمة: جورج كتورة، دار الكتب المتحدة، بيروت، 2006م.

212)جاستون بوتول: **ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية:** ترجمة: عادل زعيتر، مكتبة ابن سينا، القاهرة، الطبعة الأولى، 2016م.

213)------: **تاريخ علم الاجتماع:** ترجمة: محمد عاطف غيث، مصر، 1964م.

214)جاك لوجوف: **التاريخ الجديد:** ترجمة محمد الطاهر المنصوري: مراجعة عبد الكريم هنية، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007م.

215)جان سوفاجيه، وكلود كاين: **مصادر دراسة التاريخ الإسلامي:** ترجمة: عبد الستار الحلوجي، وعبد الوهاب علوب، عدد 31، المركز القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997م.

216)جولي ماكليود، ريتشيل طومسون: **بحث التغير الاجتماعي(المقاربات الكيفية):** ترجمة: سحر توفيق، مراجعة: محمود الكردي، سلسلة ميراث الترجمة، عدد 1992، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2014م.

217)دوزي: رينهارت بيتر آن دُوزِي(ت1300هـ/1883م): **تكملة المعاجم العربية:** نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، جمال الخياط، أحد عشر جزءًا، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى، من 1979–2000م.

218)دوناتيلا ديلا بورتا، مايكل كيتنج: **مداخل ومنهجيات البحث في العلوم الاجتماعية: مدخل تعددي:** ترجمة: منال زكريا حسين، خالد عبد الفتاح، خالد كاظم، مراجعة: أحمد زايد: سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين، عدد 2957، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016م.

219)ديكارت: **التأملات في الفلسفة الأولى:** ترجمة عثمان أمين، القاهرة، 2014م.

220)رالف لنتون: **شجرة الحضارة– قصة الإنسان منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث:** ترجمة: أحمد فخري، تقديم: أحمد زكريا الشلق، ثلاثة أجزاء، سلسلة ميراث الترجمة، العدد(1750)، المركز القومي للترجمة، القاهرة،2010م.

221)فرانسوا دوس: **التاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد:** ترجمة محمد الطاهر المنصوري: المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009م.

222)فرناند بروديل: **تاريخ وقواعد الحضارات:** ترجمة: حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م.

223)كليفورد جيرتز: **تأويل الثقافات، مقالات مختارة:** ترجمة: محمد بدوي: مراجعة: بولس وهبة، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2009م.

224)كولنجوود: **فكرة التاريخ:** ترجمة: محمد بكير خليل، القاهرة، 1961م.

225)لوسيان فافر، وهنري جاكمارتان: **ظهور الكتاب:** ترجمة: محمد سميح السيد، دار طلاس، دمشق، 1988م.

226)مالك بن الحاج عمر: **ميلاد مجتمع:** ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر – الجزائر/دار الفكر دمشق – سورية، الطبعة الثالثة، 1406هـ/1986م.

227)مرجليوث: **دراسات عن المؤرخين العرب:** ترجمة: حسين نصار، سلسلة ميراث الترجمة، عدد 1656، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010م.

228)هرنشو: **علم التاريخ:** ترجمة: عبد الحميد العبادي، القاهرة، 1988م.

229)ول ديورانت: (ت 1981م): **دروس التاريخ:** ترجمة: علي شلش، دار سعاد الصباح، القاهرة، 1993م.

230)----------: **قصة الحضارة:** تقديم: محيي الدّين صَابر، ترجمة: زكي نجيب محمُود وآخرين، 42 جزءًا، وملحق عن عصر نابليون، دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1408هـ/1988م.

231)----------: **قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي: حياة وراء أعاظم رجال الفلسفة في العالم:** ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة دار المعارف، بيروت، الطبعة السادسة،(د.ت).

232)**ويدجري: المذاهب الكبرى في التاريخ، من كونفوشيوس إلى توينبي: ترجمة ذوقان قرقوط، بيروت، 1972م.**

**رابعًا: الموسوعات والدوريات والرسائل:**

233)جميل عبد الله محمد المصري: **انتشار الإسلام الفتوحات الإسلامية زمن الراشدين:** الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الحادية والعشرون، العددان الحادي والثمانون والثاني والثمانون، المحرم– جمادى الآخرة، 1409هـ/1989م.

234)----------: **طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور**: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة العشرون – العددان السابع والسبعون والثامن والسبعون، محرم– جمادى الآخرة، 1408هـ/1988م.

235) حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي: **العلمانية وموقف الإسلام منها**: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 115– السنة 1422،34هـ/2001م.

236)**دائرة المعارف الإسلامية**: نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي، وأحمد الشنتناوي، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس. طبع منها أحد عشر مجلدا، في مصر، 1933–1957م.

237)رشيد الحاج صالح: **دور العرب في عقلنة العلوم، التاريخ عند ابن خلدون من منظور علم التاريخ المعاصر**: عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب– الكويت، العدد 183، يوليو سبتمبر 2021م.

238)السيد خلف (أبو ديوان): **صورة مصر الحضارية في كتب الرحالة المسلمين( ق5–8هـ/ق11–14م)**: رسالة ماجستير، بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2013م.

239)سلمى محمود إسماعيل: **ابن حيون المغربي مؤرخا**: رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة المنصورة، 2014م.

240)سيار الجميل: **تحقيب الأزمنة وحوليات التاريخ ومفاهيم التاريخ الجديد**: مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب– الكويت، العدد 178(أبريل– يونيو 2019م).

241)شفيق جاسر أحمد محمود: **المماليك البحرية وقضائهم على الصليبيين في الشام**: السنة الحادية والعشرون– العددان الواحد والثمانون والثاني والثمانون– المحرم – جمادى الآخرة 1409هـ/1988م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

242)عبد الحليم عويس: **ابن خلدون وريادته لعلم تفسير التأريخ**: مجلة البحوث الإسلامية: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،95 جزءًا.

243)صالح أحمد العلي: **إدارة بغداد ومراكزها في العصور العباسية الأولى**: مجلة سومر، العدد 33، السنة 1977م.

244)عبد الغفار مكاوي: **النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: تمهيد وتعقيب نقدي**: حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، عدد 88، 1993م.

245)عبد الله كنون: **نفي تقول سخيف على الجناب المحمدي الشريف: مجلة البحوث الإسلامية**: عدد 20، الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، (د.ت).

246)فاروق عمر: **نظرة جديدة إلى علاقة الترك بالخلافة العباسية**: مجلة المكتبة، العدد 65، بغداد، 1968م.

247)**مجمع اللغة العربية بالقاهرة:** المعجم الوسيط: إعداد (إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار)، دار الدعوة(د.ت).

248)محمد الجوهري: **من الخارج أم من الداخل:** بحث في مؤتمر معهد جوته، الإسكندرية، 2005م.

**249)**مصطفى العبادي: تأملات حول التاريخ والمؤرخين: مجلة عالم الفكر، المجلد 20، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986م.

## خامسًا: المراجع الأجنبية:

250- Adrienne Chambon; Reading Foucault for Social Work, NewYork, Columbia University Press, 1999.

251- Barthold: Turkestan down ti Mangol Invasion, Barthold (Oxford, 1928).

252- Blyth, Mark: Great Punctuations: Prediction, Randomness, and the Evolution of Comparative Political Science American Political Science Review 100(4),1997.

253- Boutol. G: Ibn Khaldon, Sa Philosophie Sociale, Paris, 1930.

254- Mahdi. M: Ibn Khaldon's Philosophy of History, London, 1957.

255- Carr, E. H: What is history? Penguin, 1964.

256- Cary, M and Warming ton, E. H. The Ancient Explorers (Pelican Book) London, 1929.

257- E. P. Thompson; History from Below: Times Literary Supplement, 7 Abril, 1966.

258- Evan- Pritchard, E.E; The Nuer(Oxford, At The Clarendon Press, 1940.

259- F. Malti Douglas: Blindness and Autobiography., Princeton University Press, Princeton. 1988.

260- Francois Dosse; History of Structuralism(Minneapolis; University of Minnesota Press, 1977.

261- Francois Dosse; Le Pari biographique. Ecrire une vie, Press. La decouverta. 2005.

262- H. Hoffding; History of Modern Philosophy. New York, Dover Publication, 1955.

263- Harper,D: Small ns and community studies in S. Ragan and H.S. Backer(eds), What is a case?: exploring the foundations of social inquiry. Cambridge ; New York: Cambridge University Press, 1992.

264- Hegel; Lectures on the History of Philosophy( English Translation), New York, The Humanities Press, Vol. 111, 1955.
265- Henri Daudin: La liberté de la volont: (Presses universitaires de France), Paris, 1950.
266- Herskovits, M. J; Man And His Works( New York; Alfred A. Knoff, 1956.
267- Hitti: P.K: History of the Arabs, London, 1943.
268- J.L. Gillin and J.P. Gillin: Cultural Sociology, New York. 1978.
269- Kadushin,A; Child Welfare Services(The Macmillan Company, New York, Fourth Printing,1968).
270- Boutol: G: khaldun, La philosophie sociale, Paris, 1930.
271- O.Ismail, The Reign of Al-Mu'tasim. Ph. D. Thesis. Ibn
272- Redfield, R. And Rojas, A.V, Chan Kom. A Maya Village( The University Of Chicago Press, Second Impression, 1964).
273- Richard Franks; Modern Philosophy( the seventeenth and eighteens centuries) London, 2003.
274- Stanford, M; An introduction to the Philosophy of History, Blackwell Publisher, 1998.
275- Stone, L; The revival of narrative: Reflection on a new old history, Past and Present, London, 1979.
276- Tylor, E. B: Primitive Culture(London, John Murray, 1871.
277- W. Orburn and M. Nimkoff. A Handbook of Sociology, London, 1949.
278- Wittgenstein; Philosophical Investigations(translated by Anscombe, 279- G.E. Rhecs, R. and Von wright- Oxford, Basil Blackwell, 3nd, Impression,1963).
280- Zygmunt Bauman: Modernity and the Holocaust. .Cambridge; Polity Press, 1989